الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

The People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

المركز الجامعي
عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة

UNIVERSITY CENTER OF
ABDELHAFID BOUSSOUF -MILA

Centre Universitaire Abdelhafid Boussouf MILA

معهد الآداب واللغات

قسم: لغة وأدب عربي

المرجع: ....

عُنْوَانُ الْبَحْثِ:

الدَّرْسُ اللِّسَانِيُّ فِي أَعْمَالِ مُصْطَفَى غَلْفَان، دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِكِتَابِ اللِّسَانِيَاتِ فِي الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ؛ حَفْرِيَاتُ النَّشْأَةِ وَالتَّكْوِينِ.

مُذَكِّرَةٌ مُكَمِّلَةٌ لِنَيْلِ شَهَادَةِ الْمَاسْتَرَ فِيْ: اللغة والأدب العربي.

تخصّص: لسانيات عربية

إعداد الطالبة: منادي نورية

إشراف الأستاذة الدكتورة:
حنان بومالي

السنة الجامعية: 2022/2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةٌ

تشكّل الدراسات اللسانية المعاصرة في العالمين (العربي والغربي) ثروةً معرفيةً عميقةً بالمشكلة اللغوية، والتي تحقّقت من خلال تاريخ طويل -جدًّا- من التركيب والنقد والنظر والتأمّل، وكلّ -هذا- قد بدأ بشكل مبكّر مع حضارات بلاد ما بين النهرين (الرافدين أو ܒܝܬ ܢܗܪܝܢ) الذين أهدوا البشرية نظام الخطّ والكتابة؛ الأعجوبة التي جعلتنا نتواصل ليس فقط عبر الأماكن المختلفة، وإنّما حتى عبر الأزمان والعصور من خلال الكلمة المكتوبة وبثّها عبر أثير التاريخ للأجيال اللاحقة، ثمّ الهنود الذين صقلوا أدوات الوصف والتحليل، وبعدهم الأغارقة -سادة- العقل والفلسفة، فالعرب وفضلهم في تحليل البنية اللسانية إلى مستوياتها، مرورًا بالقرون الوسطى وميلاد البحوث الفيلولوجية والهرمنوطيقية، ثمّ بداية القرن التاسع عشر واكتشاف الأصل المشترك للغات الهندو أوروبية ومباحث متغيّراتها ضمن اللسانيات التاريخية والمقارنة التي تعجّ بالمناهج وتئط بالنظريات، وبعد كلّ هذا التراث العالمي والتاركة العلمية تأتي اللسانيات، وتجعلنا نقول: **وأخيرا جاء سوسير!**

وفي الجهة المقابلة لغرب النهضة وحاضرة الفلسفة، حيث لم يكن فيها بهذا التحضّر والمثاقفة والمواطنة والأنسنة المسالمة! كان العالم العربي مَوْضِعَهُ -المفضّل- للاستلاب والتجهيل ومحو للذات ونكران للذاكرة، فتراجعت الحياة العلمية والثقافية وتأزّم العقل وقلّ الإبداع، ومع بداية القرن التاسع عشر بدأت الحياة تدبّ في شرايين الحياة الفكرية عنده، حيث تطلّب النشاط الثقافي الجديد الذي انطلق شعاعه من مصر ولبنان، ومن بعض البلدان العربية الأخرى، جهودًا جبّارة لمواكبة مظاهر التحوّلات العميقة التي تمخّضت عن الاحتكاك بالغرب، ممّا نشأ معه وعي لغوي جديد حول إعادة بناء الثقافة اللسانية العربية **واستعادة المجد القديم**.

وفي هذا السياق التاريخي الذي تكوّنت فيه أهمّ المواقف اللسانية، ونشأت فيه أهمّ الرؤى العلمية يكون من المناسب -جدًّا- اختيار قراءة كتاب مصطفى غلفان "**اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين**" لتفكيك البنيات الفكرية الأوّلية لاحتكاك العرب بالغرب ولتأريخ أهمّ اللحظات والشرارات الناجمة عن هذا التجاور، ليحلّل الآليات والإجراءات التي

تتشكّل من خلالها، ونشاطات النقل والترجمة ثمّ الإبداع والنشر، والتي تؤدّي –جميعًا– وفي الأخير إلى بناء وعيّ علمي يسمى بــ"**الثقافة**" أي الجوّ الأمثل لنقل المعرفة وتوطينها، ومن خلال ذلك يأتي هذا البحث الموسوم بــ"**الدرس اللساني في أعمال مصطفى غلفان؛ دراسة تحليلية لكتاب اللسانيات في الثقافة العربية؛ حفريات النشأة والتكوين**" لتفكيك عتباته وفتق طبقاته وفهم آلية تشكّل الثقافات المضيفة للسانيات، حيث يكون الإشكال العام متمحورًا حول فهم مرحلة البدايات وآلياتها وإجراءاتها، وينص على النحو الآتي:

ماهي تجليات الدرس اللساني في أعمال مصطفى غلفان من خلال كتابه؛ اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين؟ ويتفرّع عن هذا الإشكال مجموعة من التساؤلات منها:

- ما هي ميزات الخطاب اللساني التمهيدي من وجهة نظر مصطفى غلفان؟
- كيف صنّف مصطفى غلفان الجهود اللغوية في عصر النهضة؟
- هل استطاع العرب تلقّي المنهج التاريخي المقارن وتطبيقه على اللغة العربية في تقدير مصطفى غلفان؟

ولضبط –هذه– التساؤلات في سياق علمي معقول، يتوجّب إنارة الطريق ببعض الافتراضات النظرية التي يمكن أن نهتدي بها إلى نتائج مقبولة، يمكن تعميمها على العلوم المتاخمة للسانيات، ومن جملة ما يفترضه البحث:

- إنّ التأريخ لمرحلة البدايات في تلقي الدرس اللساني التاريخي والمقارن الغربيين، إنّما هو تاريخ للأزمات والانتكاسات العلمية التي ميّزت كتابات هذه المرحلة.
- إنّ التأريخ للبدايات هو تأريخ للإبستيمات والبنيات العقلية والاجتماعية وتفكيك للسرديات المعرفية الكبرى، التي تجعل فهمها أرضية بيانية يمكن الاستفادة منها –مستقبلا– لنقل العلوم المعاصرة التي تستجدّ في الحضارة الإنسانية، ومن خلالها نستطيع فهم نقل العلوم اللغوية والنقدية كالسيميائيات والأسلوبيات والتفكيكيات، والنصيات ..الخ.

- إنّ التأريخ الموضوعي للنشاط العلمي والمعرفي العربي –في عصر النهضة– يكشف عن كثب بأنّ العرب قد تأثّروا بالشخصيات العلمية الغربية فقلّدوها، ولم يتأثّروا بالمناهج والنظريات والعلوم اللغوية الحديثة، لذلك كانت أعمالهم ناقصة مبتورة.
- إنّ محاولة مصطفى غلفان، هي محاولة عاطفية تضاف إلى تاريخ طويل من المحاولات التي تروم التعريف بالأعمال العلمية المغمورة، والتي يعود إليها الفضل في تحريك العقل العربي وتوجيهه نحو التفكير والإبداع.

إنّ هذه الفرضيات الأوّلية المتفرّعة عن النقطة المركزية للبحث، تجعلها مفاعيلاً سرديةً تتطلّب منهجًا تحليليًا لتفكيك الخطاب اللساني في الثقافة العربية الحديثة وبعض آليات السيمياء لتحليل العتبات والأيقونات، وهي جميعا تعتمد مناهج الحفر والتنقيب للوصول إلى الطبقات الصمّاء لثقافة التوظيف اللساني في نهاية القرن التاسع عشر، وامتصاص الجهود المبذولة وتصنيفها ونقدها.

وقد انطلق البحث في تحقيق أهدافه المنشودة، من إتباع خطوات وآليات التأليف العلمي وهي: **مقدمة وعرض وخاتمة؛**

أمّا الموضوع فقد تصدّره مدخل عالجت فيه أهمّ المفاهيم وتأصيلا لجملة من المصطلحات وتبيين المصادر المعجمية الأساسية التي تشكّل عمدة الفهم الدقيق لكلّ من: اللسانيات التاريخية والمقارنة، الفيلولوجيا واللسانيات العامة، ثمّ اللسانيات العربية ولسانيات التراث ولسانيات المتون، وبعدها اشتغلتُ على تأصيل علم اللغة وبيان مقدماته ومقولاته وحصر أوجه النظر فيه ثمّ تحديد الميزات الأبستمولوجية لمرحلة البدايات، ومنه إلى رسم مسار الدرس اللساني في الغرب، حيث تمّ التفصيل في مناهجه ونظرياته، وتم التوقف مطوّلا في اللسانيات الآنية مع سوسير، ومحاولة فكّ بعض الألغاز والغموض التي تحيط بالمحاضرات وبالطلبة وبشخصية سوسير نفسه، وقياس أثرهم على اللسانيات العربية، ثمّ تتبعنا مسار الدرس اللساني العربي –

وأشرنا- إلى أهمّ رواد وطليعة اللسانيين العرب في الفترة الحديثة والمعاصرة، والذين شكّلت أفكارهم مقدمات متينة للأجيال اللاحقة.

واختصصتُ في الفصل الثاني بكتاب (مصطفى غلفان)، "اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة؛ حفريات النشأة والتكوين" حيث قسّمته إلى ثلاث مراحل متتالية؛ تأخذ المرحلة الأولى على عاتقها دراسة شكلية للكتاب من حيث العنوانُ والحجم، ثمّ في مرحلته الثانية تمّ تحليل المضامين وأفكار الكتاب، حيث شمل تحليل الجهود اللغوية في عصر النهضة، وتتبّع ارهاصات المنهج التاريخي المقارن في البحث اللغوي، ويليه الرؤى الارتقائية للغة العربية، وبعدها تحليل خصائص الخطاب اللغوي الاستشراقي، وقياس النشاط اللغوي المعجمي ثمّ معالجة مرحلة ظهور اللسانيات ومختلف الاشكالات المرتبطة بها، يليه محور ظهور اللسانيات العربية الحديثة. أمّا المرحلة الثالثة –والأخيرة– فقد تمّ فيه إدراج تحليل مصادر ومراجع الكتاب ونقده وبيان قيمته.

ثمّ خاتمة تقوم بحصر أهمّ النتائج التي تمخضت عن البحث وصياغة التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في بحوث محايثة لهذا البحث.

إنّ النتائج التي أروم الوصول إليها هو فهم فلسفة البدايات في تاريخ العلوم وفي مختلف المجتمعات ونشأة اللسانيات في الثقافة العربية تحديدًا من منظور مصطفى غلفان، وللوصول إلى هذه النتيجة يتوجب الاطّلاع على بعض الدراسات السابقة التي قاربت هذا الموضوع، من بينها: بحث الطالبة "أميرة عزوز" بعنوان: **الخطاب اللساني عند مصطفى غلفان**، مذكّرة معدّة لنيل شهادة الماستر في اللسانيات العربية، إشراف ليلى كادة بجامعة بسكرة، ***2019–2020***م كذلك بحث الطالبتين: بوبريدعة مروة ونورة لحيلح، بعنوان: **إعادة قراءة الأفكار السوسيرية في الفكر اللساني المعاصر عند مصطفى غلفان**، إشراف قبايلي عبد الغاني، جامعة ميلة ***2021–2022***م، وبحث الطالبة فريدة بلحوسين، بعنوان: **دراسة لكتاب في اللسانيات العامة؛ تاريخها وطبيعتها وموضوعها ومفاهيمها لمصطفى غلفان**، إشراف حاج علي عبد القادر، جامعة مستغانم

*2021/2020*م، وهي دراسات وبحوث على كثرتها وتعدّد أغراضها لم تشفيها تحليلاً بالنحو الذي يفيدني في هذا الموضوع، من أجل ذلك تمّ الاستعانة بجملة من المصادر والمراجع؛ أهمها: كافة كتب مصطفى غلفان، وكتاب: التطوّر الإبستمولوجي للخطاب اللساني الذي ألّفه جمعان بن عبد الكريم، ولحافظ إسماعيلي علوي وأمحمد الملاخ، بعنوان: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، والأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية لمحمد محمد العمري، هذه العدّة التي غطّت مواطن النقص في تحليل عناصر الثقافة العربية وارتباطاتها باللسانيات العامة.

ومن الصعوبات التي سجّلتها أثناء إعداد المذكّرة، هو كثرة المادة العلمية وغزارتها والتي يتوجب تحليلها ويضيق بها أفق هذا البحث، ومن جهة أخرى فإنّ تحليل الخطاب اللساني بمستواه العالمي يجعلنا أمام علوم كثيرة ومتعدّدة ومتداخلة، ممّا تستوجب تعميق المطالعات في مختلف العلوم والمناهج واستيعاب ممتاز للنظريات والفرضيات وإتقان اللغات الأجنبية اتقانا جيّدًا.

وفي الأخير أتقدّم بالشكر الجزيل والامتنان الوفير إلى أستاذتي المشرفة، فضيلة الأستاذة الدكتورة **حنان بومالي**، التي أغرقت –البحث والباحثة– بحِلمها وعلمها وسرعة بداهتها وأخلاق العلماء فيها، والتي تكرّمت على –هذا البحث– بتبني ما جاء فيه، والصبر على قلّة حيلة صاحبته، ولملمت متشعباته ومتابعة تفصيلاته وتقويم أخطاءه والحرص على الجودة فيه، حتى أصبح على النحو الذي هو عليه كحلم أصبح حقيقةً، فلها كلّ التبجيل وعبارات الشكر وتاج الاحترام وعمائم التقدير والودّ، راجيًا من الله تعالى أن يوفّقها ويجعلها –أوّلاً وثانيًا ودائمًا وأبدًا– منارةً شامخةً وقلعةً سامقةً للعلم يستهدي بها الطلبة والبحثة ويستدل بها المشتاقون إلى الحقيقة والعرفة.

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

بتاريخ: *10* ماي *2023*م

والله وليّ التوفيق.

مَدْخَلُ

بعنوان: الإطار المعرفي المفهوماتي الأساسي للخطاب اللساني في الثقافتين الغربية والعربية .

ويتضمّن المدخل العناصر الآتية:

أوّلا)- المصادر المعجمية و العلمية للسانيات

أ/أ)- المعاجم اللسانية في الغرب:

أ/أ-أ)- المعاجم اللسانية اللاتينية

أ/أ-ب)- المعاجم اللسانية الأنجلو-ساكسونية.

أ/ب)- المعاجم اللسانية المعربة:

أ/ب/أ)- المعاجم اللسانية للمصطلحات اللغوية التراثية

أ/ب-ب)- المعاجم اللسانية العربية الحديثة

ثانيا)- تحديدات علمية ومعرفية لمصطلحات البحث:

ب/أ)- التحديد التأثيلي لمصطلح اللسان

ب/ب)- تحديد اللسانيات التاريخية المقارنة.

ب/ج)- تحديد الفيلولوجيا (فقه اللغة العام)

ب/د)- اللسانيات العامة الآنية

ب/هـ)- تحديد مفهوم اللسانيات العربية

ب/و)- تحديد مفوم اللسانيات التراثية

ب/ز)- تحديد مفهوم لسانيات المتون

ثالثا)- تحديد مفهوم النشأة والتكوين **خاتمة**

لا يخلو أيّ مجال علميّ أو معرفيّ من الإطار المفاهيمي والمعجم الاصطلاحي الذي يقيم محدّداته، فلابدّ –ويجب– وضوح لفظه وتعيين حدوده وانفصال مجال اشتغاله عن مرادفاته في العلوم الأخرى، وهذا ما يخرج الكلمات من الاستعمال الاجتماعي إلى الخطاب العلمي الذي ينتقي بعناية –شديدة– منظومته اللغوية، فالمصطلحات هي مفاتيح العلوم والمفاهيم محرّكات التفكير والتأمل الموضوعي، حيث يتشكّل منها اللغة الواصفة "**اللغة الشارحة** *métalangage*" فنجد –في الفيزياء– مثلا: التسارع، الفعل، ردّة الفعل، إصدار ألفا، الذرة.. وفي الرياضيات: التماثل، التناظر، التكامل، المتغيّر، المعادلة... الخ، وفي اللسانيات: متزامن، الاستعمال الاعتباطية، الاقتصاد اللغوي، الانغماس، العلامة اللغوية.. الخ، فالاستعمال الدقيق لهذه المصطلحات هي التي تحدّد سرعة التلقّي ومستويات الفهم وعمقه..

وتختلف اللسانيات عن باقي العلوم في أنّها تقوم على لغة علمية (متشعّبة ومعقّدة) لتحليل اللغة التواصلية، وبذلك تقترب اللغات (ويمتزج المُحَلِّلْ بالمُحَلَّلِ) إلى حدّ يجعل الحدود المائزة بينهما مخاتلة جدًّا، وقد قال قديمًا ابن تيمية (تـ*728*هـ) يقول: "**إِنَّ عِلْمَ ٱلْكَلَامِ قَدْ حَيَّرَ عُقُولَ ٱلْأَنَامِ**" وكان قبلة المعلّم الثاني، وفيلسوف العرب "الفارابي تـ*339*هـ" يقول: "**مِنَ ٱلصَّعْبِ –جِدًّا– ٱلْكَلَامُ عَلَى ٱلْكَلَامِ بِٱلْكَلَامِ**" ومع ذلك! فإنّ اللسانيات علم بالحدود، وحرصها على منظومة اصطلاحية –واضحة– لا يماثله إلاّ حرصها على تحقيق أعلى مستويات العلمية والموضوعية في تفحّص نتائجها واختبار طرائقها الإمبريقية (***Ɛmpirique***)، وعليه فلا مناص لأي باحث في هذا المجال من عُدَّةٍ معجمية لمواجهة الفيض المتدفّق من اللسانيات – ومن كافة اتجاهات العالم– وبشكل متواصل.

أوّلاً)- المعاجم العلمية للسانيات بمختلف فروعها وانتماءاتها: توفّر المعاجم العلمية المفهوم الدقيق من كلّ مصطلح، وحدود استعماله وضبط السياقات النظرية التي أوردها العلماء ضمن مناهجهم وفي مدارسهم العلمية المتنوّعة، وهي تعتمد على الكثافة الدلالية المنتظر تحصيلها عند أصحابها؛ فنجد –مثلا– سوسير في المحاضرات ينطلق من تحديد

مصطلحاته كاللسان والكلام والتزامن والآنية والعلامة اللسانية..[1] وهو العمل الذي اضطلع به لويس هلمسلايف –أيضا- علمًا أنّه قد استعمل مصطلحات –معقدّة جدًّا– استدعاها من التراث اليوناني حينًا، ومن اللغة الدانماركية أحايين أخرى،[2] وعلى هذا سينحو كل من أندري مارتني وتروباتسكوي وياكبسون وسابير وهاريس وتشومسكي، وفي العالم العربي لا يكاد كتاب من كتب الحاج صالح يخلو من تدقيق وتحقيق في مصطلحاته التي يستعملها، ولا تمام حسان أو الفاسي الفهري وأحمد العلوي ولا جمعان عبد الكريم أو خالد الهويدي أو مصطفى غلفان...

لكن أفضلية المعاجم تكمن في قيامها –الحثيث– على تفكيك الطبقات الدلالية والاستعمالية للبنيات الاصطلاحية، وتبحث عن الاستعمال الأدقّ بين العلماء وتبيّن مختلف مرادفاتها –إن وجدت– وتعمل على إظهار الفروقات الدقيقة بين الأعلام المرجعية الكبرى، مثل إبراهيم أنيس وعلي عبد الواحد وافي ومحمود السعران وسعد مصلوح و..الخ، وعند الغرب بين همبولت وديكورتناي ووايتني وسوسير وأنطوان ميي ومارسيل كوهن...الخ، كما أنّها –فضلا عمّا– سبق فإنّها تساعد المترجمين –هنا وهناك– في نقل هذه المعارف بفهم عميق يتجاوز حدّ اللغة إلى ما وراء اللغة أين يوجد المصطلح.

أ/أ)- المعاجم اللسانية في الغرب: لقد عرف الغرب مراحل متعدّدة من مسارات تشكّل الثقافة اللسانية، ولا يمكن لأي لساني –في الغرب– أن ينظّر خارج الثقافة والتقليد العقلي والفلسفي الإغريقو–رومانية واللاتيني، ثمّ الفكر الوسيط –مرورًا– باللسانيات التاريخية والمقارنة والفيلولوجيا وأخيرًا اللسانيات العامة واللسانيات التوليدية التحويلية، باللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية وحتى الإيطالية والإسبانية مؤخّرًا، ولم يعد الاعتماد على الكفاءات الفردية –كافيًا– للإلمام بكلّ التعدّدات اللغوية والفكرية للدرس اللساني، وبذلك فقد احتاجوا –أكثر من

1)- Ferdinand de Saussure, **Cours de linguistique générale**, Publié par Albert Séchhaye avec la collaboration de Albert Riedlinger, édition critique préparée par Tullio de Mauro, postface et traduction de Jean louis Calvet, Edition Payot, 1967, P97

2)- Louis HJELMSLEV, **Prolégomènes à une théorie du la langue**. Trad ; una Canger, Edition de minute, Paris, 1971, p33

أي أمة أخرى- إلى هذه المعاجم والموسوعات لتسهيل عمليات البحث والتحليل ومسايرة التطوّرات العلمية المتسارعة في مجال اللسانيات.

أ/أ-أ)- المعاجم اللسانية اللاتينية (باللغة الفرنسية): اعتمدت الثقافة اللسانية الفرنسية على نوعين من المعاجم؛ المعاجم المترجمة من اللغتين اللاتينية والألمانية وذلك لرصد وفهم مفاهيم اللسانيات التاريخية والمقارنة والفيلولوجيا، حيث -كما سنرى في الفصل الأوّل من هذا البحث- إنّ أغلب النظريات والمناهج في القرنين الثامن والتاسع عشر قد نشرت باللغة الألمانية (*Deutsche Sprache*) وسيحتاج الألماني إلى المعاجم الألمانية المترجمة من اللغة الفرنسية باعتبار أنّ النصوص المرجعية في اللسانيات العامة قد كتبت باللغة الفرنسية، ثمّ سيحتاج القارئ باللغة الفرنسية إلى المعاجم المُترجِمة للثقافة اللسانية الأنجلو-ساكسونية الوافدة من إنجلترا وأمريكا والبلدان الناطقة باللغة الإنجليزية، وسيحتاج القارئ العربي إليهم جميعًا لنقل علوم اللغة إلى بلدانه، من المعاجم التي اشتهرت "**القاموس الموسوعي الجديد لعلم اللغة**"[1] الذي ألّفه أوزولد ديكرو حيث عرّف بمختلف المناهج اللسانية والعلوم المتفرّعة عنها، مثل: الصوتيات الفنولوجيا، المورفولوجيا الأسلوبية السيميائية، وغيرها،وقد نقله منذر عياشي إلى اللغة العربية عام (*2007*م)، كما نجد معجم "**المصطلحات المفاتيح في اللسانيات**"[2] لماريا نوال قراي ومعجم جورج مونان "**معجم اللسانيات**"[3] والمعجم الشهير "**قاموس اللسانيات**" لجون ديبوا وآخرين،[4] ، ومعجم "**المفاهيم اللسانية**"[5] لفرانك نوفو، هذا الأخير الذي نشر معجمًا موسوعيا

1)- **Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage** par Oswald Ducrot, publier 1995

2)- **Les termes clés de la linguistique** par Marie-Noëlle Gary-Prieur, publier 1999

3)- **Dictionnaire de la linguistique** Georges Mounin, publier 2003

4)- **Linguistique et sciences du langage** par Jean Dubois et autre, Publier : 2007

5)- **Lexique des notions linguistiques** par Franck Neveu publier 2009

آخرًا بعنوان "**معجم علوم اللغة**"[1] فقد قامت هذه المعاجم بتقريب الدرس اللساني للقارئ باللغة الفرنسية وللمترجمين العرب الذين نقلوها سواء في الجزائر وتونس والمغرب، أم في لبنان وسوريا ومصر.

أ/أ-ب)- المعاجم اللسانية الأنجلو-ساكسونية (باللغة الإنجليزية): تعدّ اللغات الإنجليزية لغة علمية وعالمية –في آن– حيث أصبحت كلّ العلوم والمعارف تنطق بلسانها بدءًا من النصف الثاني من القرن الماضي –فضلا– عن كونها اللغة الأجنبية الثانية في كلّ دول العالم تقريبًا لذا فإنّه من المنطقي أن تزخر المكتبات بالمعاجم العلمية المختلفة، وفي الدراسات اللسانية التي عرفت نظريات ومناهج في إنجلترا منذ القرن الخامس عشر وبدءًا من نهاية القرن التاسع عشر في أمريكا من خلال البحث عن الأصل المشترك للغات الهندو–أمريكية، ومن أهم المعاجم اللسانية نجد "**معجم العلوم العرفانية**" لأوليفي هدي،[2] و"**موسوعة اللسانيات**" لفيليب سترازي،[3] و"**المفاهيم المفاتيح للسان واللسانيات**" لروبير تراسك،[4] و"**موسوعة كامبريج لعلوم اللغة**" لباتريك كولم هوجن،[5] والأهم منها جميعًا هو "**المعجم الموسوعي العالمي للسانيات**" لويليام فراولي،[6] استطاعت هذه المعاجم أن تؤسّس لثقافة لسانية –عميقة– في الثقافات الناطقة بالإنجليزية، وقد نشرت هذه المعجمات وفُتح لها روابط ومواقع إلكترونية سهلة الولوج وقليلة الجهد والأموال.

1)- **Dictionnaire des sciences du langage** par Franck Neveu Publier 2011

2)- **Dictionary of cognitive science : neuroscience, psychology, artificial intelligence, linguistics** , Olivier Houde, publish : 2004

3)- **Encyclopedia of linguistics**, Philipp Strazny publish : 2005

4)- **Language and linguistics : the key concepts** , Robert Lawrence Trask :publish : 2007

5)- **The Cambridge encyclopedia of the language sciences** par Patrick Colm Hogan publish : 2011

6)- **International encyclopedia of linguistics** par William J. Frawley ; publish : 2003

أ/ب)- المعاجم اللسانية العربية (والمعربة): استيقظ العالم العربي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على تحديين؛ أوّلهما النشر لعلماء العرب الذين شكّلوا بأعمالهم ما نسميه الآن بـــ"**لسانيات التراث**"، وثانيهما على نقل "**اللسانيات الحديثة**" التي أنجزتها العبقرية الغربية في الفترة الحديثة والمعاصرة، وبالتالي تشكّلت رغبتان نفسيتان واجتماعيتان في شخصية العلماء العرب، رغبة **الأصالة** التي يمثّلها التراث، ورغبة **المعاصرة** التي تمثّلها اللسانيات، وبالتالي فهم ملزمون في الحالتين على **الانتقال**؛ إمّا انتقال في الزمن إلى علماء التراث، أو انتقال في المكان إلى الغرب، فانتقاله في الزمن –لوحده– يعني البعد عن العصر والحضارة، وفي المكان يعني انسلاخه عن الأصالة، والحل هو "**.. نستوحي لنخلق الجديد سواء عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين أو عبرنا المكان لننقل عن الغرب..**"[1] ولهذا فإنّنا نجد المعجمات اللسانية العربية على صنفين؛ المعاجم اللسانية التراثية، والمعاجم اللسانية الحديثة.

أ/أ-أ)- المعاجم اللسانية العربية (التراثية): وهي المعاجم التي تبحث في ضوابط المصطلحات العلمية التراثية للعربية، مثل: "**المصطلحات النحوية والصرفية**" لنجيب اللُبدي، ومعجم "**علوم العربية**" لمحمد التنوجي، وكتاب "**المصطلح النحوي؛ نشأته وتطوره في أواخر القرن الثالث الهجري**" لمحمد القوزي، وتمّ كلّ هذا بمعية تحقيق الكتب التراثية، مثل كتاب "**التعريفات للجرجاني**"[2] الذي قام به محمد الصديق المنشاوي، –فضلا– عن نقل المعاجم اللغوية التي نجد فيها إشارات اصطلاحية، ومعاجم اصطلاحية، مثل: "**الكليات**" لأبي البقاء الكفوي (تـــ*1094*) و"**مفاتيح العلوم**" للخوارزمي (تـــ*387*) و"**كشاف اصطلاحات الفنون**" للتّهانوي (*1158*هـــ).. وشروحات ممتازة للمتون، وكلّها مصنّفات حاولت –دون كلل أو ملل– التعريف بالنصوص التراثية في حدود المفاهيم المعرفية التي طوّرت فيه إلى المتلقي العربي الحديث والمعاصر.

---

[1])- زكي نجيب محمود، **تجديد الفكر العربي**، نقلا عن عبد السلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**. ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986م، ص21 –بتصرف–

[2])– ينظر معلومات هذه المصنفات في ثبت المصادر والمراجع لكثرتها.

أ/أ-ب)- المعاجم اللسانية (العربية): بذل اللسانيون العرب الذين يتقنون اللغات الأجنبية ومترجموهم، خطوات جبّارة في نقل المعرفة اللسانية إلى اللغة العربية، والعكس؛ أي النقل من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية، حيث نجد معجم "**علم اللغة النظري، إنجليزي عربي**" لمحمد علي الخولي سنة *1982*م، و"**معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، عربي إنجليزي، وإنجليزي عربي**" لمحمد باكلا وآخرين سنة *1983*م، و"**قاموس اللسانيات، عربي فرنسي وفرنسي عربي**" لعبد السلام المسدّي سنة *1984*م، و"**المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، إنجليزي فرنسي عربي**" الصادر عن مكتب تنسيق التعريب سنة *1989*م، و"**معجم المصطلحات اللغوية، إنجليزي عربي**" رمزي منير بعلبكي سنة *1990*م، و"**معجم المصطلحات اللسانية، إنجليزي فرنسي عربي**" لعبد القادر الفاسي الفهري ونادية العمري *2009*م، وقد أسهمت كلّ هذه المعجمات على خلق أرضية خصبة للمتلقي العربي لاستيعاب كُنْهِ اللسانيات العامة والمشاركة في تطويرها ودفعها إلى آفاق مستقبلية واعدة جدًّا.

ثانيًا)- تحديدات علمية ومعرفية لمصطلحات البحث: يقوم هذا البحث على مجموعة من المصطلحات المفتاحة التي توجّه مختلف آرائه وتحليلاته، ومن أهمّها: اللسانيات التاريخية والمقارنة، والفيلولوجيا، اللسانيات العامة، ومفهوم النشأة والتكوين.

ب/أ)- التحديد التأثيلي (*Étymologique*) لمصطلح اللسان : ومنه صيْغَت "**اللسانيات**" لتكون المقابل العربي للمصطلح اللاتيني "*linguistique*" وهو يتشكّل من الجذر العربي "**لسان**" مضاف إليه لاحقتين "**ياء النسبة**" و" "**تاء المصدر**" والتي تعني في التراكيب العربية "العلم والمنهج والنظرية والمذهب..الخ، حيث يُبنى على صيغتين؛ الصيغة الصرفية للمصطلحات العلمية على جمع المؤنّث السالم، مثل: الرياضيات، الطبيعيات، الأسلوبيات، السيميائيات اللسانيات.. وفي هذه الحالة تمتنع أن تسبق بكلة "**علم**"، وتأتي على صيغة المؤنّث المفرد مثل: الرياضية الطبيعية اللسانية الأدبية النقدية.. وحينها تتصدر بكلمة "علوم: جمعًا لا إفرادًا، هذا الأخير الذي يتصدّر الجذر، فنقول علم الأسلوب وعلم النقد وعلم الأدب وعلم النص... وقد اختار المترجمون العرب والطليعة منهم الجذر الثلاثي المجرّد [**ل. س. ن**] لسان كمقابل

لمصطلح (*lingua- langue*) وذلك لأنّ العربية عرفت اللسان، وهو الأقدم في الاستعمال الشعري الجاهلي، وقد ذُكر في القرآن (*25* مرّةً) في حين لم تذكر "اللغة–*logos*" اطلاقًا ممّا يعني أن الأداة التي تستعمل للتواصل هو اللسان وليس اللغة التي بدأت تزاحمه بدءًا من القرن الثاني للهجرة، وقد ألّف ابن منظور في القرن الثامن معجمًا مرجعيًا سمّاه "**معجم لسان العرب**" ولم يسميه اللغة العربية تجنّبًا للكلمة الدخيلة على اللسان العربي.

وقد حصر عبد السلام المسدّي مختلف المقابلات المتباينة بين البلدان العربية لمصطلح (*linguistique*)، قائلا ".. وكان المصطلح المتداول في تونس هو **الألسنية** وهو أقدم المصطلحات تاريخيًا؛ لأنّه صيغ في فلسطين سنة ***1938***، ثم راج في لبنان، وفي مصر استعمل مصطلح **علم اللغة**، ووضع عبد الواحد وافي أوّل كتاب فيه عام ***1941*** واختار له ذلك المصطلح عنوانًا، وكان الجزائريون قد وضعوا مصطلح **اللسانيات** وبه سمّوا معهدًا مختصًّا وبه أصدروا مجلّة متخصّصة فيه، وفي المغرب استعمل مصطلح **اللسانيات**.."[1] وفي التراث اللغوي العربي نجد مصطلح "**علم اللسان**" بدءًا من القرن الثالث هجري، فقد ورد في كتاب "**إحصاء العلوم**" للفارابي (تــ*260*هــ) حيث يقول: "..علم اللسان ضربان؛ ... وثانيهما علم قوانين في صناعة أقاويل كلّية.."[2] أمّا في الثقافات الأجنبية فإنّ جورج مونان[3] يرجّح بأنّ (*lingua*) قد ظهرت في سنة ***1832***، في حين اسم الفاعل (لساني–*linguiste*) قد استعمل قبله بزمن طويل، أمّا المعجم الاشتقاقي [***le petit Robert***] فإنّه يعيده إلى سنة ***1632***م،[4] وبالتالي

---

[1]- وقد ذكر في قاموسه أكثر من ثلاثة وعشرين مصطلحا كان يستعمل بمعنى اللسانيات، وهي: **اللانغويستيك. فقه اللغة وعلم اللغة. علم اللغة الحديث. علم اللغة العام. علم اللغة العام والحديث. علم فقه اللغة. علم اللغات علم اللغات العام. علوم اللغة. علم اللسان. علم اللسان البشري. علم اللسانة. الدراسات اللغوية الحديثة. الدراسات اللغوية المعاصرة النظر اللغوي الحديث. علم اللغويات الحديثة. اللغويات الجديدة. اللغويات. الألسنية. الألسنيات. اللسنيات وأخيرا اللسانيات.** ينظر: عبد السلام المسدي **قاموس اللسانيات**، دط تونس الدار العربية للكتاب، 1984م، ص72 –بتصرّف

[2]- أبو نصر محمد الفارابي، **إحصاء العلوم**، دط، بيروت لبنان، 1991م، ص9 بتصرف

[3]- جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين**، تر: بدر الدين القاسم، دط، سلسلة الكتب العلمية، دمشق – سورية، 1982م، ص1

[4])- ***Le petit Robert***, Dictionnaire de la langue Française 1, A REY et DE Bové, Paris XI^{e} p1098

فإنّه من الثابت أنّ اللسانيات هي المقابل العربي للمصطلح الفرنسي (*linguistique*) والإنجليزي (*Linguistics*)، والأمازيغي ([illegible])، والألماني (*Sprachwissenchaft*)، والدانمركي والبرتغالي والإيطالي (*linguistica*) والياباني (言語学)، والروسي (Лингвистика) وهي كلّها تعود إلى الأصل اللاتيني "*Lingua*" التي تعني اللسان، وتنطق بالكيفية نفسها متقاربة من حيث المخرج ومتفاوتة من حيث الصفة.

ب/ب)- تحديد اللسانيات التاريخية والمقارنة: وتأتي في اللغات الأجنبية بالصيغ والتراكيب المختلفة، مثل: " *la linguistique comparée , linguistique comparative, linguistique historique, grammaire comparée*"؛ وهي الدراسة العلمية للتغيرات اللغوية من مرحلة إلى أخرى، وهو فرع من علم اللغة العام الذي يهتمّ بتحليل التغيّرات الصوتية والنحوية والدلالية وإعادة بناء المراحل المبكّرة للغة،[1] واكتشاف وتطبيق الأساليب التي يمكن من خلالها إثبات العلاقات الجينية بين اللغات، ومن مجالاتها:[2]

- وصف وتعليل التغيّرات الملحوظة في لغات معينة؛
- إعادة بناء لغات ما قبل التاريخ وتحديد صلاتها وتصنيفها في أسر لغوية؛
- وضع نظريات عامة عن كيفية وأسباب التغيّرات اللسانية؛
- وصف تاريخ الكلمات؛
- وصف تاريخ اللغات المحلية.

ب/ج)- تحديد الفيلولوجيا *la philologie*: وهو المصطلح الذي ترجمه إلى اللغة العربية المستشرق الألماني (جويدي *Guidi*)بـــ" فقه اللغة" عندما كان أستاذاً للسانيات في الجامعة المصرية (*1920/1935*م)، أمّا في أصله فهو علم يبحث في النصوص القديمة من حيث أصالتُها وكلماتُها المستعملة، وحصرُ التغيّرات الطارئة عليها من الناحية المعجمية والدلالية

---

1)- *https://fr.wikipedia.org/wiki/Linguistique_compar* (*23:15*سا) الساعة، *2022*م، مارس *02* الخميس يوم

2)- Ferdinand de Saussure, **Cours de linguistique générale**, p13

وقد تمّ الاستعانة به –بشدّة– في بحوث اللسانيات التاريخية والمقارنة، بدءًا من القرن التاسع عشر لارتباط البحث اللساني بالنصوص القديمة واللغات العريقة، ومن أهمّ مجالاته:[1]

- الاختصاص بفكّ الرموز القديمة والاهتمام بالآثار؛
- الاختصاص في تحقيق النصوص والمخطوطات بغية نشرها.

حيث سيعرف التراث اللغوي العربي والإسلامي، إقبالا كبيرًا من لدن المستشرقين الفيلولوجيين أمثال: سلفيستر دو ساسي، وفليشر وبرغشتراسر ونولدكه وبركلمان..الخ،[2] وقد صبغت أعمالهم مرحلة –هامة– من مراحل البحث اللغوي العربي نهاية القرن التاسع عشر وفي الفترة الحديثة نجد مؤسسات علمية كثيرة تتناول التراث العربي والإسلامي بالتحقيق الفيلولوجي، منها:[3] المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في مدريد، وهيئة المخطوطات الإسلامية في كامبردج، ومؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن، ودار بريل للنشر في لايدن بهولندا.

ب/د)- تحديد اللسانيات العامة/الآنية: لم يعد هناك أي اختلاف بين العلماء والبحثة على أنّ اللسانيات العامة هي: "الدراسة العلمية للسان البشري"[4] فهي علمية لأنّها تعتمد طريقة الملاحظة للأحداث اللغوية، وتأخذ على عاتقها جملة من المجالات، منها:

- ← تقديم وصف لجميع الألسن وتاريخه وسرد تاريخ الأسر اللسانية وإعادة بناء اللغة الأم؛

---

[1]- ينظر الموقع الآتي: مقال: "ما الفيلولوجيا" المنشور على الرابط *https://www.qpedia.org/topics/11309.html* تم الاطلاع عليه يوم: ***17*** مارس ***2023***م

[2])- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**، ط1، كوفة النشر والتوزيع المدارس مطبعة النجاح الدار البيضاء، المغرب، 2006م. ص91

[3]- أحمد السعيدي، مقال: "الفيلولوجيا .. من فقه اللغة إلى تحقيق التراث" مجلة الفيصل، مجلّة الكترونية صادرة عن دار الفيصل الثقافية، بتاريخ: ***4*** سبتمبر ***2018***م، وتم الاطلاع عليه، يوم: ***24*** جانفي ***2023***م، ***11.00*** صباحا على الرابط الآتي: ***https://www.alfaisalmag.com/?p=12322***

4)- André Martinet, Élément de linguistique générale. Armand Colin, 4ème edition, Paris 1989 p 6

← تحديد العوامل والمؤثرات التي تؤثر في الألسن جميعا، واستخلاص القوانين والقواعد الشاملة؛

←تحديد اللسان من خلال بنيته الداخلية.[1]

فنلاحظ بأنّ مهمة اللسانيات العامة لا تختلف كثيرًا عن اللسانيات التاريخية والمقارنة، غير أنّها تخالفها في المنهج وطريقة وأدوات التحليل، وبالتالي فهي فرع من فروعها.

ب/هـ)- تحديد مفهوم اللسانيات العربية: تعجّ الكتب اللسانية العربية الحديثة والمعاصرة باستعمال تركيبة "**اللسانيات العربية**" وببحوث في مختلف مجالاتها وتفرّعاتها وقضاياها، بل ونجد مجلاّت علمية ومخابر البحث تحمل الصيغة ذاتها، وفي الجامعات ودور العلم كتخصص في مختلف الأطوار، وبالحفر -قليلا- نجد ميشال زكريا يسم كتابه (**بحوث ألسنية عربية**) سنة ***1992***م، وتبعه سعد مصلوح؛ إذ ألّف كتابًا عنوانه: (**في اللسانيات العربية المعاصرة**) سنة ***2004***م، كما جمع شوقي ضيف مقالات ومداخلات عبد الرحمن الحاج صالح -في جزئين- وصاغ لهما عنوان: (**دراسات وبحوث في اللسانيات العربية**) والذي نشره سنة ***2007***م، وقام مصطفى غلفان بنشر أطروحة الدكتوراه -خاصته- التي ناقشها في ماي ***1991***م، بعنوان (**اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية**)، ثم يعيد نشرها في كتاب يتراجع فيه عن تركيبة "اللسانيات العربية" بعنوان: (**اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين**)، الذي نشره سنة ***2006***، ولم يلبث طويلا حتى أعاد نشره في الطبعة الثانية، ويعود إلى العنوان القديم (**اللسانيات العربية، أسئلة المنهج**)، سنة ***2011***م، ولا يمكن – اليوم- بحال حصر كلّ الكتب والمصنّفات والمقالات والملتقيات العلمية التي تجعل "اللسانيات العربية" عنوانًا وشعارًا، وحتى صيغة ترويجية لها، حيث نكاد نجزم بأنّ القاسم المشترك بينهم -جميعًا- أنّهم يتجنّبون -تمامًا- صوغ تعريف دقيق للسانيات العربية التي تقدّم أعمالهم للقارئ العربي!

[1])- Ferdinand de Saussure, **Cours de linguistique générale**, p20

ومع ذلك يمكن أن نفهم من الصيغة ومن تصنيف الأعمال التي تناولتها هذه المؤلّفات بأنّ اللسانيات العربية هي: كلّ البحوث العلمية التي تُعنى بمباحث اللغة العربية بمختلف مستوياتها وفروعها سواء كتبت باللغة العربية أم باللغات الأجنبية، بأقلام عربية أو أجنبية في الفترة الحديثة والمعاصرة.

ب/و)- تحديد مفهوم اللسانيات التراثية: وهي التاركة المعرفية والعلمية والفلسفية اللغوية التي تمّ تطويرها وصياغتها في العالم العربي بدءًا من القرن الثاني للهجرة في مختلف حواضرها العلمية آنذاك، حيث تحدّد بوصفها "..تلك الجهود العلمية التأسيسية التي قام بها الخُلّص من العلماء ورجالات العربية في مختلف ميادين البحث اللغوي العربي، والتي تمثّل مجموعة من المؤلّفات التي يمكن تصنيفها إلى علوم وأجناس أدبية ولغوية، فنقول : الفكر الصوتي المعجمي الدلالي والنحوي التركيبي والبلاغي.."[1] والتي ارتبطت جميعًا باللغة العربية الفصيحة درسًا وتحليلاً وفهمًا، حيث نجد بأنّ الآراء والملاحظات التي أثبتها العلماء قديمًا مازالت ذات فاعلية في بناء النظرية اللسانية العربية الحديثة.

ب/ز)- تحديد مفهوم لسانيات المتون: لسانيات المتون[2] أو "لسانيات المدوّنة النصية للغات" وتسمى باللغة الإنجليزية (*Corpus linguistics*)[3] والتي تعتمد على اللغات التي لم تعد مستعملة في الاوساط الاجتماعية وهي محفوظة في الكتب والنصوص، أو في الحفريات والآثار القديمة، يحث يتمّ تجميعها ودراسة قوانينها وفق المنطق الطبيعي للغات، وفي حال اللغة العربية فإنّ المؤرّخين قد قسّموها إلى مرحلتين؛ اللغة العربية البائدة والعربية الباقية

---

[1]- قبايلي عبد الغاني، **أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية؛ التفسيرية عينة**. أطروحة دكتوراه بإشراف: عز الدين صحراوي، قسم اللغة والأدب العربي جامعة الحاج لخضر بباتنة، نوقشت في *2017*م، ص*54* (غير منشورة)

[2]- ينظر: حوار أجراه حافيظ إسماعيلي علوي مع الفاسي الفهري، نُشر في موقع اللسانيات، الذي تم العودة إليه يوم ***12*** فيفري ***2023***م، على الساعة (*21.20*سا) على الرابط الآتي: *https://lissanyat.blogspot.com/p/blog-page_11.html*

[3]- ينظر: موسوعة الويكيبيديا، مقال "لسانيات المتون" باللغة العربية بتاريخ: ***12*** فيفري ***2023***م، الساعة (***10.30***صا) على الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki/* لسانيات المتون

فالبائدة كانت قبل إسماعيل عليه السلام والباقية بعده، ومن المؤسف حقًا أنّنا لا نملك أي مدونة حول المرحلة البائدة، والأمر متوقف على الاكتشافات الأثرية في جزيرة العرب والتي ستجعل لسانيات المتون العربية أكثر نشاطًا لإعادة بنائها والتعرّف على قواعدها وخصائصها ومشابهاتها مع العربيات الباقية، وهنا نلاحظ علاقة متينة بينها وبين علم الأركيولوجيا (*Archaeology*) أو علم المستحثّات، وهذا التعاون المنهجي بين العلمين هو ما عرّفنا باللغات القديمة كالفرعونية والسومارية والآشورية، ولغات شعوب المايا والأزتيك...

ثالثا)- **تحديد مفهوم النشأة والتكوين:** يحدّد مصطفى غلفان هذين المفهومين الذين سيكونان المفتاحين الأساسيين لكتابه "*اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة؛ حفريات النشأة والتكوين*" بالعودة إلى لحظة التقاء العالمين العربي والغربي في مجال الدراسات اللسانية؛ حيث نجم عن هذا التلاقي نشأة وتكوين أفكار ومناهج جديدة لتحليل اللغة العربية، حيث تعتمد –عادة– هذه النوع من البحوث على منهج النّقد والتحليل، يقول: ".. هي رؤية منهجية تتّبع النقد والتحليل للخطاب اللغوي العربي الحديث للوقوف على مدى تأثير اللسانيات العامة في الدرس اللساني العربي الحديث، وتحديدًا منذ بداية ما يعرف بالنهضة العربية.."[1] وبالتالي فهو نقد تأصيلي لفترة البدايات التي عرفها العالم العربي بدءًا من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن الماضي.

وعليه، فالغاية من كلّ هذه العلوم والمناهج والنظريات سواء الغربية منها أم العربية فإنّها تهدف إلى فهم المشكلة اللغوية وسبر أغوارها من النواحي العلمية المطّردة وحصر الأنماط المشتركة المتكرّرة، وكذلك إلى تحليل الجو المعرفي لتوطين العلم، كما يهدف مصطفى غلفان من خلال تحليل التلاقي العربي–الغربي إلى فهم العوامل والأسباب التي تتشكّل فيها ثقافة معينة لعلم من العلوم وتسهيل عليه الانغماس في الأوساط العلمية المضيفة ممّا يمكن الاستفادة منه مستقبلا مع العلوم العصرية الجديدة ...

---

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية. حفريات النشأة والتكوين**.ص3

الفَصْلُ الأوّلُ

بعنوان: تأصيل اللسانيات المقارنة والتاريخية والعامة والعربية؛ بحث في المفاهيم ورصد لأهم المناهج والنظريات.

ويتضمّن الفصل النظري العناصر الآتية:

أولا)- تأصيل علم اللغة ومقدّماته.

أ/أ)- صعوبات تأريخ علم اللغة وتعدد الآراء حوله.

أ/ب)- محاولات التأريخ لعلم اللغة.

أ/ج)- التاريخ المتعدد للسانيات العربية.

ثانيا)- الميزات الإبستمولوجية لمرحلة البدايات.

ثالثا)- مسار الدرس اللساني في الغرب.

ج/أ)- اللغة السنسكريتية وفكرة الأصل المشترك.

ج/ب)- النحو المقارن واللسانيات التاريخية.

ج/ج)- نشاط المقارنة والتاريخيين.

ج/د)- نظريات اللسانيات التاريخية المقارنة.

ج/هـ)- السوسيرية واللسانيات الوصفية الآنية.

ج/هـ-أ)- طلبة سوسير، الجسر نحو اللسانيات العامة

ج/هـ-ب)- طلبة سوسير، البرامج الدراسية التي تمخضت عنها المحاضرات

أ)- محاضرات السنة الأولى جامعي.

ب)- محاضرات السنة الثانية جامعية.

ج)- محاضرات السنة الثالثة جامعية.

ج/هـ- ج)- محتوى كتاب المحاضرات ***1916م.***

رابعًا)- أثر سوسير والمحاضرات في اللسانيات العربية.

خامس)- مسار الدرس اللساني العربي.

هـ/أ)- رواد اللسانيات العربية.

خاتمة

ارتبطت اللّغة –في شكلها العام– ومنذ القدم بوجود الإنسان الذي اختصّ بها واختصّت به دون سواه من سائر المخلوقات، كونها الوسيلةَ الرئيسة للتواصل والإبلاغ،[1] عن حاجاته الإخبارية وعن إثبات كيانه العاقل وعن ماهيته الفريدة وانتماءاته العشائرية، فقد كانت ومنذ الأزل مرتبطة وملازمة للإنسان تتطوّر بتطوراته الحضارية وتنتكس بنكساته الثقافية والاجتماعية، غير أنّه لا مجال لتفادي غموضها وتشعّب مسالكها وتعقّد طبقاتها، وعلى قدرتها العجيبة في الانفلات بين أيدي الباحثين والمحلّلين، ومن أجل ذلك فقد كثرت حولها الآراء وتعدّدت معها المناهج واختلفت في طياتها المواقف، وصَعُب بذلك حصر وجهات النظر وتصنيفها تصنيفا علميا –أو على الأقل– تعليميا حتى يتمّ التعريف بها وتكوين الأجيال فيها ورسم نقطة على شجرة المعرفة والقول: **وصلت المباحث اللسانية إلى هكذا مكان.**

أوّلاً)- تأصيل علم اللغة ومقدماته: لقد سجّل مؤرّخو اللسانيات، قِدم وعراقة تناول اللغة كموضوع للبحث والتأمّل –جَنْبًا إلى جَنْبٍ– مع القضايا الأساسية للإنسان، بل..! لا نجد حضارة –مهما– أوغلت في القدم لا تضع "اللغة/*language/langage*" في صدارة المكتسبات المعرفية المطاوعة لأنطولوجيا البشر، ودرسوا عِلاقاتها بمختلف جوانب الحياة البشرية والنشاطات العقلية والفلسفية والاجتماعية والفيسيولوجيا ...الخ، وحتى بالعلاقة الخارجية والبعدية التي تمارس في شكل طقوس إيمانية، ورسم خارطة فيما يسمى في الأدبيات (الإثنوغرافية/ *Ethnography*) الوجود بعد الوجود [*life after life*].

أ/أ)- صعوبات تأريخ علم اللغة في الغرب وتعدد الآراء حوله: إذًا، فقد لازمت الدراسات اللغوية بمختلف المحطّات وصولاً إلى العصر الحديث كلّ الوسائل العقلية التي استحدثها العلماء والفلاسفة في كلّ العصور، وما ينبغي تسجيله كملاحظة –عامة– حول هذه الدراسات إلى غاية

[1])- على الأقلّ هذا ما يقول به العلم الحديث، ولكن ليس من باب الأحكام القطعية، حيث يمكن له –العلم– مستقبلا الكشف عن خصائص هذه الأنظمة التواصلية الحيوانية، وأنْسَقَتِهِ (*Structuralisé*)، فالمشكلة العلمية المؤقتة تكمن في القدرة على الأنسقة على نحو ما عاشه العقل اللغوي مع اللسانيات، غير أنّ بعض الحيوانات قد طوّرت أنظمة تواصلية متقدّمة جدًّا مثل الدلافين والخفافيش التي تتواصل بجهاز يشبه السونار؛ إلاّ أنّه أكثر تقدّمًا من أي سونار صنعه الإنسان إلى حدّ الآن.. .

–عشية– القرن التاسع عشر، أنّها كانت تتناول اللغات القومية وفي أحسن الحالات تُردف بمقارنات بينها وبين بعض اللغات المتاخمة لأمّة من الأمم قصد تسهيل الترجمة والنقل والتواصل[1] بين الشعوب التي أثبتت حركات معاملاتية في التجارة أو التشاركية في الدين والمعتقد، غير أنّ هذه الدراسات كانت متجهة –صوبًا– إلى اللسانيات العامة التي كان لابدّ منها وإن –طال الزمن–* وفي سياق ذي صلة عبّر "جورج مونان" (*1910-1993*) عن صعوبة تحديد تاريخ نهائي لميلاد اللسانيات، وذلك لصعوبة توليف وجهات النظر التي تؤّرخ لها، حيث قال: ".. ومن خلال وجهات النظر التي يمكن تبنيها، يمكن القول: إنّ اللسانيات قد ولدت في القرن الخامس قبل الميلاد، أو في سنة ***1816***م مع [فرانز] بوب، أو سنة ***1916*** مع [مونجان فردينان دو] سوسير، أو سنة ***1926*** مع [الأمير نيكولاي إفانوفيتش] تروباتسكوي، أو سنة ***1957***م مع [نوام أفرام أبراهام] تشومسكي.."[2] فالقلق الذي يشوب فعل التأريخ الذي لم يجد ج. مونان بديلا عن التصريح به يعود إلى أن التأريخ هو حدث خارجي عن اللسانيات ومبادئها ومناهجها وفي مدارسها، ومن جهة –أخرى– فإنّ علم التاريخ اللسانياتي،[3] ما زال يستعير أدواته من العلوم الأخرى، كالفلسفة والتاريخ العام، معتمدًا –بشكل أساسي– على الوثائق والحفريات المكتشفة إلى حدّ الآن، وبذلك تبقى النتائج العلمية المحصّلة رهينة الاكتشافات الجديدة والمستمرّ للحضارات القديمة، ومختلف التجمعات البشرية العريقة، كحضارة بلاد ما بين النهرين من السوماريين

---

[1]- حيث إنّ اللسانيات –**لا تضرب الصفح**– عن الوظائف الأخرى، مثل: التأثيرية، والمرجعية واللاغية والوصفية والشعرية على نحو ما طوّره رومان ياكبسون، ولكنّها تعتمد في نظرتها للسان على الوظيفة الأساسية وهي التواصل، ينظر:

–Ferdinand de Saussure, **Cours de linguistique générale**, p17

*)- تمّ –انزياحًا– استخدام المثل العربي الشهير "**لابدّ من صنعاء وإن طال السفر**" من باب تأديب النص.

[2]- "Selon le point de vue ou on se place, la linguistique est née vers le V^{e} siècle avant notre ère, ou en 1816 avec **Bopp**, ou en 1916 avec **Saussure**, ou en 1926 avec **trobetzkoy** , ou en 1956 avec **chomsky**…" ينظر:

Georges Mounin , Clefs pour linguistique . Collection Clefs SEGHERS , Paris , 1er édition, 1968 p19 **وما بين معقوفين في النص المترجم للطالبة.**

[3]- وهو مصطلح اقترحه **عبد المالك مرتاض**، وقد تمّ استخدامه بشكل واسع في أعمال **مختار زواوي**، وتأتي فائدة هذا المصطلح في التفريق المنهجي الصارم بين مفهومي "**اللسانيات/ اللسان**" واتضاح النسبة لأحدهما دون الآخر أو لكليهما.

والآشوريين والأكاديين وأهل بابل والفراعنة والعرب قبل الإسلام[1] وقبائل أفريقيا وشعوب العالم الجديد، وبخاصة مع التحسينات المنهجية والتكنو- كيمائية لعلم الحفريات واستقلاله -نوعا ما- عن التاريخ.

أ/ب)- محاولات التأريخ لعلم اللغة: إنّ فعل العودة إلى القديم قصد تأريخ -هذا- العلم يجعل الباحثين في مواجهة -مباشرة- مع معايير الفهم الحقيقي لمقولات القدامى، أو تقدير لمنجزاتهم التي صمدت في الوصول إلى الفترة المعاصرة، فمعظلة الفهم تستوجب إعادة بناء تصوّرات معرفية عن العالم القديم والتفكير من خلالها، حيث نبّه عبد الرحمن الحاج صالح (*1917/2017*م) على خطر النظر إلى أعمال القدامى بعيون ومنطق العصر،[2] بمعنى أنّ التحدّي -الحقيقي- لمؤرّخي اللسانيات والعودة إلى التراث (**عربي/ عالمي**) يستوجب فهم النصوص ضمن سياقاتها الإبستيمية التي طوّرت فيها، ومن الواضح أنّ ذلك يضفي صعوبة -أخرى- أشدّ من الضفر بالوثائق والآثار، وهذا ما جعل ج. مونان يتوجّس -قلقًا- من التسابق -المحموم- في نقل النصوص القديمة، حيث يقول: "..كلّ ما يمكننا أن نرجوه، هو أن يكون له [تاريخ علم اللغة] عدَدٌ عديد من القرّاء الصابرين الجلدين في زمن لا يتجلّى بالصبر والجلد، لا يستعجلون في إنشاء مفردات جديدة أو طرح نظريات لا مستقبل لها، بل يمعنون النظر حتى يتسنى لهم قبل كل شيء فهم آراء هؤلاء العباقرة ومن ثمّ يسعون إلى تجاوزها.."[3] وفي حال ما لم يكن -ذلك كذلك- فإنّ النتائج ستكون وخيمة على النحو الذي لاحظه مصطفي غلفان(*1952*م) عند التأريخ للسانيات العربية، حيث تسرّبت هذه الأزمة قائلا: ".. إنّنا لم نتمكن من الاستمرار في

---

[1])- وينوّه هذا البحث بالعمل العلمي المتميز والجبّار -في آن- الذي قدّمه الباحث العراقي "**جواد محي الدين العلي**" (*1907-1993*م) تحت عنوان "**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**" الذي نشر في بيروت سنة *1968*م، لما يتوفر عليه من مادة علمية غنية وغزيرة جدًّا ولمنهجية الجمع والتصنيف والتبويب التي طبعت مؤلفه.

[2])- عبد الرحمن الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة** .دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2007م. مقدمة الكتاب -بتصرّف-

[3])- جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين**، ص20 -بتصرف-

مشروع فكري نجد مبادراته الأولى في أعمال عدد من الرواد، أمثال: جورجي زيدان والكرملي وجبر ضومط والعلايلي.. وغيرهم من الذين لم يُلتفت بكلّ جدّية لما قدّموه من أعمال لغوية سبقت عصرها بكلّ تأكيد سواء أتمّ نقلها مباشرة عن الغرب أم تمّ التصرّف في نقلها للثقافة العربية.."[1] فإذا كنّا –اليوم– في المحطة الأخيرة من التاريخ أين نشهد نوعا من الاكتمال المنهجي لعلوم اللغة –عموما– واللسانيات العامة تحديدًا في الغرب وإلى حدٍّ مقبول –جدًّا– في العالم العربي، وكذلك لو فعلنا الشيء نفسه مع اللسانيات العربية باكتمال بعض المشاريع اللسانية لدى بعض الرواد، فإنّنا سرعان ما نلاحظ بأنّها فردية لم يتم استثمارها بالشكل المطلوب.*

أ/ج) التاريخ المتعدد للسانيات العربية: وقد أدّى –كلّ ما سبق– إلى تفرّق القضايا المرتبطة باللغة العربية وتعدّد الكتابات حولها، وإنْ كان أغلبها متفقًا على النتائج التي تروم تحقيقها إلاّ أنّها لم تنجز في بيئة عقلية ذات أبعاد جامعة أو ما يصطلح عليه بــ"التوطين الثقافي للعلم" وأصبح يغلب الاختلاف النظري والتأرجح المنهجي، أو كما قال غلفان: "..تعيش اللسانيات في الثقافة العربية الراهنة –نوعًا– من العبث النظري والتردّي اللذين يخلقان وضعية التذمر واليأس من لسانياتٍ كان يعوّل عليها كثيرًا لتثبيت أقدام الحداثة والمعاصرة، ولتذليل الصعاب وحلّ مشاكل لغوية جمّة.."[2] فاللسانيات العربية وعلم اللغة العام في القرون الوسطى كانتا ضحية التسابق للريادة أكثر منها توطينًا وتأسيسا لثقافة تستطيع استيعاب الحمولة المعرفية التي تعد بها اللسانيات، وهذا ما كبح جماح هذا العلم وتأخيره إلى الفترة الحديثة، ولا يمكن تصوّر واقعهما

---

1)- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية. حفريات النشأة والتكوين**، ص4.

*)- لو قارنّا –كما سيأتي لاحقًا– بين أعمال **عبد الرحمن الحاج صالح وتمام حسان وعبد القادر الفاسي الفهري** فإنّنا لا نجد –على الإطلاق– وهم أصحاب المناهج اللسانية العربية الكبرى، ومؤلفات عديدة –ذات قرائية عالمية– أي ذكر أو نقد أو ردّ على أي واحد منهم فيما بينهم، ويمكن –مجازًا– تصوّر الفائدة الجليلة لو تعاونت هذه الأقطاب الأكثر تأثيرًا على اللغة العربية وعلى بناء ثقافة لسانية في الوطن العربي.

2)- مصطفى غلفان، **المصدر السابق**. ص6، غير أنّ ما يؤخذ على غلفان في هذا التعليق هو استعماله لمصطلحي "**العبث والتردي**" فحتى وإن كان في مقام النقد والتقييم إلاّ أن المعاجم النقدية تتيح له إمكانات اصطلاحية متعدّدة، ولكن ما يشفع له أنّ هذا المصدر يعدّ من المؤلفات الأولى له التي كان فيها –ربّما– أقل تجربة وخبرة من اللواحق.

لو تجاوزا هذه المعضلة منذ أمد بعيدٍ، بالرغم من محاولة المجامع اللغوية العربية والمؤسسات العلمية من جمع هذه الجهود وتوجيهها في سياق واحد..

كما يضاف إلى هذه المعضلة مشكلة أخرى، وهي أنّ اللسانيات في الثقافة العربية منذ عودة الطلبة المُبْتَعَثِين إلى الخارج، وبخاصة في مرحلة النهضة[1] بقيت حبيسة الأسوار الأكاديمية –العاجية– سواء من حيث التدريس أم من حيث التأليف والنشر، ممّا جعلها محجوبة عن جمهور عريض جدًّا، حالت بينه وبينها سجالات هامشية وجدالات سطحية وصلت ببعضهم حدّ جعلها وسيلة من وسائل الغزو الأجنبي! أو بديلا شاحبًا عن الدرس اللغوي العربي القديم، أو حتى معولاً من معاويل التشكيك في "لغة القرآن الكريم"، هذه الاتجاهات شكّلت بسرعة شديدة ثقافة معادية للسانيات العامة، ضخّت فيها كبريات المؤسسات الدينية واللغوية المنتصرة للتراث كلّ أساليب الاستمالة العاطفية لمحاربتها وكبح جماحها، هذا الواقع الذي خلق وضعية تذمر ويأس –على حدّ تعبير– غلفان، أجبر بعض اللسانيين الرواد باقتفاء أثر بعض المستشرقين في الكتابة والنشر باللغات الأجنبية التي بقيت إلى الأمس القريب بعيدةً عن القارئ العربي، أو بالبحث عن جمهور آخر خارج الأسوار الأكاديمية وبعيدًا عن الأنتلجونسيا العربية، وهذا الآخر أتاح فرصة

[1]– يرى الباحث قبايلي عبد الغاني أنّه عادة ما يؤرخ للنهضة العربية بتاريخ (***1805***) والذي يوافق وصل محمد علي (إلى العرش، ومن محاسن ذلك أنّه فتح المجال أمام الكتابة والمثاقفة وسعى سعيا حثيثا إلى تكوين نخبة عربية في الجامعات الغربية. وأمّا تأريخ هذه البعثات فإنّه يبدأ بسنة (***1809***)، ثم سنة(***1813***) ،.." ووجهتها إيطاليا، وخصّصت لدراسة بناء السفن والفنون العسكرية والطباعة، واستمر إيفاد البعثات بعد ذلك، ففي سنة (1818)، أرسلت بعثة إلى فرنسا وإنكلترا لدراسة العلوم العسكرية والميكانيكا والهندسة، على أنّ أكبر هذه البعثات عددًا وأكثرها تأثيرًا على الحياة الاجتماعية والثقافية في مصر كان في1826) م(، وكانت وجهتها فرنسا، ومن بين أعضائها الطهطاوي وحسن الإسكندراني .." للاستزادة ينظر: عبد الرحمن حسن العارف، **اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر** . ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا، 2013م، ، ص49–50، وكان أثر ذلك مثلما يقول جورجي زيدان.." إعادة دخول بعض العلوم كالطب والطبيعيات والرياضيات والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والحقوقية.." **تاريخ الأدب العربي** ج4/ ص164 نقلا عن مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين** ص7 بتصرف، غير أنّ النهضة قد تأخرت في المغرب العربي إلى غاية (1926) ، نظرًا للوضع الاستعماري والأوضاع الاجتماعية المزرية .

وللتعمق في ذلك يرجى العودة أكثر إلى مؤلفات جورجي زيدان الآتية:

- **تاريخ الأدب العربي**، مراجعة : شوقي ضيف. دط، دار الهلال، القاهر مصر: دت. مجمل الكتاب
- **اللغة العربية كائن حي**، مراجعة :مراد كامل، دط، دار الهلال، القاهرة مصر: دت. مجمل الكتاب
- **الفلسفة اللغوية**، ط1، دار الجيل، بيروت لبنان، 1904م. مجمل الكتاب

فريدة للتوجّه نحو القارئ العربي المبتدئ أو المثقف عوضًا وبديلاً عن المختصّ، حيث نلمس ذلك بجلاء في تعمّد "محمود السعران" (*1963/1922*) على اختيار قارئييه لمصنفه –الشهير– علم اللغة؛ مقدّمة للقارئ العربي،[1] كأنّنا به يحاول –يائسا– العودة إلى جذور المشكلة والانطلاق في إعادة تأسيس لثقافة عميقة للسانياتٍ تنطلق من عمق المجتمع العربي، مراهنًا بهواجسه ومشاكله ومراميه على تجاوز النخبة التي يئس جيلُه من إقناعهم.

ثانيًا) **الميزات الإبستمولوجية لمرحلة البدايات:** وبالعودة إلى الحسّ العلمي العام الذي ساد مجمل العقل الغربي إلى غاية القرن التاسع عشر، حيث تمّ إعادة النظر في السرديات الكبرى لعلم اللغة العام، فإنّه لم يكن أقلّ حدّة ممّا كان عليه –الأمر– عن العرب بعد هذه المفارقة الزمنية بل! وسجّل العلماء تاريخًا عنيفًا وأحداثًا عدوانية وصدامية إلى أقصى الحدود، وربّما –هذه– من أهمّ سيمات لحظات ميلاد العلوم التقدّمية والأفكار الثورية، فإذا كان المجتمع العربي قد أرغم قهرًا –مثلا– **طه حسين** (*1973/1889*م) على مراجعة كتابه الشهير "**في الأدب الجاهلي**" المنشور في طبعته الأولى سنة (*1922*م) بسبب تطبيق منهج الشك الذي نقله –بوفاء– عن أساتذته الديكارتيين، وتخوّف **محمد حسين هيكل** (*1888–1956*م) إلى حدّ الإحجام عن مؤلّفه الرائع "**زينب**" المنشور سنة (*1913*م) بـــ"**الرواية**" لجهل العرب بهذا الجنس الأدبي، وفي اللسانيات –كذلك– نلاحظ بأنّ إبراهيم أنيس (*1906–1976*م) الذي نشر أوّل كتاب له في اللسانيات العربية سنة *1942*م، بعنوان: "**في الأصوات اللغوية**" بلغة علمية رصينة وبخلفية معرفية ومرجعية علمية أنجلوساكسونية ممتازة، لم يلبث –ردحًا من الزمن– حتى نشر كتابًا آخر بعنوان: "**موسيقى الشعر**" بعربية تراثية محضة، مدعمًا آراءه بمقولات شيوخ العربية والنقّاد القدامى، ليعيد الكرة الأولى بنشر كتاب لساني خالص بعنوان: "**في اللهجات العربية**" ثم كتاب رابع على نمط الثاني وهكذا...الخ، كأنّه يخاطب –تارة– الحدثيين في مجال اللسانيات العامة بلغة عربية علمية تماما، وتارة أخرى التراثيين مسترضيا إياهم بلغة الخليل وسيبويه وابن جنّي.

---

[1]- محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1997م، ص1

يقول مؤرخ العلوم جون غريبين (**John GRIBBIN**) ".. تاريخية العلم تؤكّد أنّ التقدّم العلمي مسيرة شاقّة قاسية مشحونة بالصراعات الضارية بين القديم والجديد...مسيرة لها شهداؤها وضحاياها.."[1] وبالتالي فالغرب لم يستبدل محاكم التفتيش بدور العلم وأحكام الإعدام والشنق حتى الموت والتعذيب الذي طال العلماء والفلاسفة والشعراء ..الخ، من أجل الأفكار العلمية الجديدة بالنقد والمحاججة العلمية إلاّ بعد النهضة الأوروبية التي انطلقت صعودًا من القرن الخامس عشر.

إذًا –هذه– هي ميزة البدايات، وصورة اللحظات الدراماتيكية الكبرى التي يسميها كارل بوبر "**البراكسيس**"[2] والتي لا تكون هادئةً مسالمة في أغلب حالاتها، وإنّما تنجم عن وعي اجتماعي عميق بضرورة هدم الأفكار التقليدية البالية واستبدالها بأخرى تكون مفتاحًا للمستقبل، ولحياة البناء العقلاني للقضايا العلمية، وإذا كان ذلك كذلك –وهو كذلك– فلماذا نؤرّخ لمحطات جاهد واجتهد حولها أجيال من العلماء والمفكرين لتجاوزها أو القفز منها؟ وبذلك فهل يجب على تاريخ العلم أن يكون انتقائيًا صفويًا في ترصد الأحداث؟ أو أنْ يجمع تاريخًا برّاقًا مفعمًا بالأفكار الصحيحة فقط؟

بالرغم من أنّنا –عادة– لا نجد أعمالا تحمل في عناوينها مثلا: تاريخ الأخطاء العلمية، أو زلاّت العلم، أو البدع العلمية...الخ، فإنّنا على عكس –ذلك– نجد المكتبات العربية والغربية تئط بعرض وضمان كتب –لا طائل إلى حصرها– من أرمّةِ "الأفكار الأكثر صمودًا"، "المعرفة العريقة"، "الثوابت والمسلمات العلمية"...الخ، إلاّ أنّنا مضطرون على العودة إلى الوراء من حين إلى آخر، ومجبرون على دراسة وتناول تلك الأخطاء بالقناعة والأهمية نفسها التي نوليها للأفكار الأكثر منطقية وعقلانية، يقول قبايلي عبد الغاني "...وبغض النظر عن القيمة العلمية والنتائج المنهجية التي توصلت إليها بعض الأعمال فإنّها تعدّ ذات أهمية جليلة مع تلك

---

[1])– جون غريبين، **تاريخ العلم**: *1543-2001م*، تر: شوقي جلال، ط*1*، عالم المعرفة، الكويت، *2012*م، ج*1*/ص*7*

[2])– كارل بوبر، **منطق البحث العلمي**، تر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،2006م. بتصرّف

المنجزات التي لم يعد الالتفات إليها تطبيقيًا –ذا بال– من الجانب العلمي أو التحليلي، ولكن أهميتها تبرز أكثر عند مقابلتها بالأفكار الصحيحة، لأنّ ما نسميه خاطئًا إنّما تعكس الموانع والمعيقات المعرفية والإبستيمية لبلوغ درجة الموضوعية والعلمية (Objectivité et Scientificité) لأنّ الأخطاء أو التناقضات التي وقعت فيها أعمال المستشرقين أو المترجمين واللسانيين ليست أخطاءً ناجمة عن سوء فهم للموضوع أو لنقيصة معرفية ما، وإنّما هي –في الحقيقة– تعكس الالتزام الأيديولوجي أو القصور المنهجي، أو عدم نجاعة الأدوات والوسائل البحثية.."[1] فتحديد مثل هذه الوضعيات يظهر لنا بوضوح مكامن الكبح فيتحوّل بذلك التاريخ إلى مراجعة تقابلية للأفكار والنظريات والمناهج التي انتقلت من جيل إلى آخر ومن حين إلى حين.

وبناءً –عمّا سبق– نخلص إلى الإشكالات الآتية: ماذا؟ وكيف ؟ ولمن نؤرّخ ؟ هذه الإشكالات المحورية ينبغي لها الاشتغال جنبًا إلى جنبٍ مع مرامي المدرسة الكلاسيكية (التراثية) التي تؤمن بأنّ الحل لمشاكلنا المعاصرة إنّما يكمن في فعل القراءة والعودة –أيضا– إلى القديم من خلال ثلاثيتهم: ماذا وكيف ولمن نقرأ؟ ولا يتخلّف اللسانيون الحداثيون عن هذا – الطرح– ويرون بدورهم وجوبَ الاشتغال داخل دائرة؛ ماذا وكيف ولمن ننظّر؟ وكلّ هذه الاشكالات على اختلاف مشاربها وتعدّد أهدافها وآفاقها ستكون النواة الأولى لمشروع مصطفى غلفان الذي يرمي إلى فهم سبب تعطّل اللسانيات في العالم العربي، وإلى استكناه معالم بناء ثقافة لسانية عربية تستفيد من الأجيال اللاحقة مستقبلا.

ثالثا)- مسارة الدرس اللساني العام:[*] يرى علماء اللغة بأنّ الاهتمام بالتطوّرات الماضية الحاصلة في مجال فهم الإشكالات التي تطرحها "اللغة" هي من دلائل نضج اللسانيات؛ فقد مهّد

---

[1]- قبايلي عبد الغاني "**أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية الحديثة والمعاصرة، التفسيرية عينة**". ص*48* بتصرّف

[*]- فضّلت في هذا البحث استعمال عبارة "**الدرس اللساني العام**" للإحالة إلى ما يسمى في التقاليد العربية وبخاصة الجزائرية "**اللسانيات الغربية**" ذلك لأنّ ربط العلم بالمكان يعدّ تكريسًا للمحلية أو تصنيفاً مكانيًا له، في حين أنّ العلم لا يحدّد بذلك وفي سياق ذي صلة نجد من يربطه بالزمن حيث نجد أوصافاً من قبيل "**اللسانيات الحديثة**" أو "**اللسانيات المعاصرة**" وهو –أيضا أمر فيه نظر، فاللسانيات لا تكون إلاّ عامة وعموميتها تستمدها من موضوعها لا من معطى خارجي عنها.

روبن هنري روبنز (*1940*م) تاريخه بقوله: "..والاهتمام الحالي الذي يبديه علماء اللغة بالتطوّرات الماضية لعلمهم ولتاريخه المبكّر، يعتبر في حدّ ذاته علامة من علامات نضج علم اللغة بوصفه علمًا أكاديميا، بغض النظر عن أي تطبيقات عملية للعلوم اللغوية.."[1] وهذا القول صحيح -تمامًا- في استيعاب مفاهيم كثيرة في اللسانيات طوّرت بالأمس القريب أو في الفترة الراهنة ولا يمكن تأسيس لأيّ ثقافة لسانية لدى الباحثين المعاصرين خارج إطار السرد التاريخي للتطوّرات والمنجزات السابقة، يواصل قائلا: "..وفي بعض الثقافات تلك التي يصدق عليها لسبب أو لآخر لقب الحضارات، فإنّ حبّ الاستطلاع وإدراك الإنسان لمحيطه قد استطاعا أن يصبح علمًا؛ أي دراسة نظامية لموضوع معيّن، أو لمجال من مجالات الظواهر، وقد اعتنى بهذا الموضوع أو المجال، ونقلته من جيل لآخر أناس عُرفوا بمهاراتهم ومعرفتهم بنشاط معين من هذا النوع والجنس البشري كلّه مدين بدين عظيم لتلك الثقافات التي رعت تطوّر العلوم بطريقة أو بأخرى.."[2]، كما يوافق مصطفى غلفان على هذا الطرح تمامًا، عندما يقول: "..ولا شكّ أنّ ابتكار الخطّ والكتابة عند المصريين والأكاديين والسومريين والفينيقيين ثمّ الهنود هو في ذاته ابتكار حضاري هامّ، وهو أيضًا مثال على المستوى الذي بلغه الدرس اللغوي في هذه الحقبة الضاربة في عمق التاريخ.."[3] فاكتشاف الكتابة من أهمّ الأحداث التي أدّت إلى قيام العلوم بالشكل الذي نعرف حاليا.

وفي هذا السياق لا يجد أنطوان ميي (*A. Meillet*)، (*1886/1936*م) بُدًّا من عدّ مخترعي الخطّ ومحسنيه هم اللسانيون الحقيقيون والذين أبدعوا اللسانيات، يقول: ".. إنّ الذين اخترعوا الكتابة وحسّنوها هم في الحقيقة من أكبر اللغويين، بل هم الذين أبدعوا اللسانيات

---

[1]- روبن هنري روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، ص11

[2]- **المرجع السابق**، ص *16*

[3]- مصطفى غلفان، **في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها**. دار الكتاب الجديد، طرابلس -الجماهرية الليبية العظمى، دط، *2010*م، ص *89*

بحق.."[1] وحتى خارج الثقافة اللسانية يعدّ تاريخ اكتشاف الكتابة هو التاريخ الفاصل الذي ولدت بعدها كافة الحضارات فإذا كان الإنسان قد استعمل الكلمة المسموعة قصد التواصل مع أفراد عشيرته والرسم على جدران الكهوف، فإنّه قد ابتكر أعمق من ذلك وهو "**الكلمة المكتوبة**" وذلك قصد التواصل مع الأجيال اللاحقة بعد آلاف السنين، وهذا ابتكار –في حدّ ذاته– لا نجد له مثلاً يماثله في العالم القديم غير اكتشافه للنار.

ج/أ)-اللغة السنسكريتية وفكرة الأصل المشترك: وبالعودة إلى أهمّ المحطّات التي رصدها جورج مونان –سابقًا– فإنّه يبدو بشكل –ما– مناسبًا –جدًّا– الانطلاق من المحطة الثانية في تأريخه للسانيات مع فرانز بوب (*1816*م) أو قبل ذلك –بقليل– مع أعمال السير ويليام جيمس* (*1746/1794*م)، هذا الأخير الذي أورد تقريرًا مفصّلا يمكن وضع السبابة على عنوانه تلخيصه في –عبارة– **من هنا بدأت اللسانيات**، يقول: "..اللغة السنسكريتية (**संस्कृतम्**)؛ أيًّا كان تعلّقها بالعصور القديمة لهي هيكل رائع؛ أكثر كمالاً من اليونانية، وأكثر غزارة من اللاتينية، ومصقولة بذوق أرفع من كليهما، وإنّها لتحمل لكليهما تقاربًا أقوى، سواء في جذور الأفعال أو أشكال النحو، من أن يكون قد تمّ إنتاجهما بطريق الصدفة قوية جدًّا في الواقع، على أنّه لا يوجد متعدّد لغات يمكنه دراستهم مع بعضهم بعض دون ظن منه أنّهن نشأن من مصدر واحد، والذي ربما لم يعد موجودًا، هناك منطق مماثل وإنّ لم يكن ذلك قويًا تماما يجعلنا نفترض أنّ كلاًّ من اللغة القوطية ولغات السلتيك على الرغم من تمازجهما في لغات مختلفة جدًّا

---

1)- Mounin, G. (**Les hommes qui ont inventé et perfectionné l'écriture ont été de grands linguistes ; et ce sont eux qui ont créé la linguistique**), *Clefs pour la linguistique. P22*

*)- **السير وليام جمس** (*William James*) مستشرق بريطاني وفقيه قانوني، عرف عنه أنّه كان ألمعيًا في اتقان اللغات بشكل لا يوصف، فقد أتقن اليونانية واللاتينية والفارسية والعربية والعبرية وأساسيات اللغة الصينية، فضلا عن اتقانه لثلاثة وعشرين لغة أخرى أتقانا معقولاً أسهم في التعريف بالحياة الثقافية والأدبية الهندية، كما أنّه يعدّ صاحب الفضل في ترجمة المعلقات السبع العربية وبعض كتب الفقه الإسلامي إلى اللغة الإنجليزية، ولقد أعلن بموقفه هذا لأوّل مرة أمام الجمعية الأسيوية البنغالية سنة ***1786***م التي أسّسها هو بنفسه بتاريخ: (*1783/09/15*م). للتوسع: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث **ودراسات في علوم اللسان**، نقلا عن (البحوث الأسيوية/*Asiatic Researches*) ج*1*/ص*422*، دار موفم للنشر الجزائر *2007*م، دط، ص*115*، بتصرف. نقلا عن: قبايلي عبد الغاني، **المطبوعة البيداغوجية في اللسانيات العامة**، قسم اللغة والأدب العربي المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة، (*2017–2018*م)، منشورة على موقع الجامعة، ص*1*

إلاّ أنّ لهما المصدر نفسه مع السنسكريتية، واللغة الفارسية القديمة يمكن إضافتها إلى العائلة نفسها..."[1] ويكون بذلك قد لاحظ بشكل مبكّر أصل القرابة بين اللغات المستعملة في أوروبا ولا نعرف تحديدًا ما إذا كان ويليام جمس واعيًا تمامًا –حينئذ– بأنّ هذه الملاحظات وتحسّس قرابات لغوية بينها ستؤدي إلى قيام علم كامل سيسمى لاحقًا وعلى أيدي فرانز بوب (النحو المقارن/*La grammaire comparé*).

ج/ب)- النحو المقارن واللسانيات التاريخية: مع بداية القرن الثامن عشر الذي أصبح عصرًا "للأنوار" في الثقافة الأوروبية، موطن صراع فكري متطرّف جدًّا، مثّلته أجيال متصارعة بخصوص المواقف العلمية تجاه اللغة؛ وأشدّ ما يظهر عليه هذا الصراع كان عند تلاميذ الفيلسوف الإنجليزي جون لوك (*1632/1704*م) الذين تزعّمهم الفيلسوف الفرنسي دي كوندياك* (*1715–1780*م)، حيث قام بتعبئة أتباعه على استعادة التأملات الفلسفية القديمة حول موضوع "**أصل اللغات**" الذي توجّه فيه الأبحاث لتتناسب مع التفسير الإنجيلي التقليدي خدمة للإيمان المسيحي المألوف حينذاك، وقد نجح –في الحقيقة– هؤلاء في تكثيف البحوث وإلقاء المحاضرات ونشر المقالات الفلسفية واستطاعوا بذلك جعل مسألة أصلة اللغات أو "اللغة الأولى" قضية مركزية في تاريخ علم اللغة أثناء هذه الحقبة، وبالتالي فإنّ المؤسسات المعرفية حينها كانت مستعدّة لتمويل أي مشروع من هذا النوع "..وعرضت الأكاديمية البروسية عام

---

1)- قبايلي عبد الغاني، **المطبوعة البيداغوجية في اللسانيات العامة**، ص*1*، ونسجل هنا بأنّ المعنى اللغوي للسنسكريتية هي لغة المعرفة الدينية، ولمّا كانت المعرفة مقدسة عند الهنود أصبحت تعني اللغة المقدسة، ثمّ تم استعمال مصطلح "**الهندو أوروبية**" من طرف فقيه اللغة الألماني يوهان كريسوف أدلونج (*1732/1802*م) في كتابه الضخم الذي قارن بين أكثر من *500* لغة بعنوان (**الميتريداتس**) المنشور بعد وفاته سنة (*1806*م).

*)- اشتغل كوندياك –دون هودة– في إعادة بعث البحوث اللغوية التي ترمي إلى الكشف عن اللغة الأولى التي تكلّم بها البشر والتي كانت مهد ولادة اللغات الأخرى عبر تاريخ البشرية، وحاول في ذلك الاعتماد على النصوص المقدمة والروايات الفلكلورية القديمة ومزج كل ذلك بصبغة فلسفية، وقد دعّم هذا المشروع بمجموعة من المؤلفات منها: **مقال عن أصل المعرفة الإنسانية البشرية** سنة *1746*م، وأطروحة **حول الأحاسيس** سنة *1754* وكتاب **معاهدة الحيوان** *1755*، والأهم من ذلك كله هو كتابه **النهج الشامل للدراسات** *1767* في *13* مجلّدًا، وكتاب المنطق *1781*م، وأخيرًا **لغة الحسابات** سنة *1798*م.

*1769*م جائزة لأفضل مقال عن الموضوع، وقد توّج هيردر (*1803/1744*م) بالجائزة.."[1] حيث نشر هذا الفيلسوف "يوهان جوتفريد هيردر" بحثًا مطوّلاً سنة (*1772*م) بعنوان "**أصل اللغة** *Der Ursprung der Sprache*" .

وفي الحقيقة –لم يكتف– بهذه الأطروحات فقط، وإنّما أخذ على عاتقه حثّ الساكنة الألمانية باستعمال اللغة الألمانية في حياتهم اليومية وفي التعليم والسياسة وأداء مختلف العبادات والطقوس الروحية، مظهرًا –تطرّفًا– عميقا تجاه اللغات الأجنبية المستعملة حينها، حيث جاء في مقدّمة هذا البحث دعوة صريحة لاستعمال لغتهم المنحدرة من لغة الأسلاف، قال: "أيها الشعب الألماني أزل عنك الوحل القبيح لنهر السين، وتحدّث الألمانية.."[2] ومع ذلك فإنّه يحمد لهيردر أنّه مَنْ وضع الأسس الكاملة لفقه اللغة المقارن *Philologie*.

ويمكن لأي باحث –اليوم– أن يتتبّع أفكار هيردر في أعمال همبولت *Wilhelm von Humboldt* الألماني (*1835/1767*م) أحد الرموز الكبار لفقه اللغة المقارن، وبخاصة في كتابه الشهير "**اختلاف بنية اللغات البشرية**" الذي نشره سنة *1849*، وضخّ فيه كلّ ما أمكنه من الروابط اللغوية مع المنزع القومي والهووي، مؤكّدًا على بعض أفكار هيردر والرجوع إليه في سياقات كثيرة، خصوصا تلك التي أثبت فيها ".. اتّباع طريقة تصنيف اللغات حسب طبيعة تركيبها وقواعدها .. مؤكّدًا أنّ لكلّ لغة بنيتها الخاصة المميزة لها.."[3] وشاء القدر أن كُتب لبعض أفكاره أن تجد موقعًا مناسبًا في اللسانيات العامة بعد قرنين، وبخاصة "..أنّه أثبت شكلين مختلفين ومتكاملين للغة؛ شكل خارجي متمثّل في (الكلام) وشكل داخلي متمثل في المعطيات العقلية، وقد استفاد تشومسكي من هذه الثنائية فيما سمّاه البنية السطحية والعميقة، وبالكفاءة والأداء.."[4] كما

---

[1]- روى هاريس وتوليت مي نيلر، **أعلام الفكر اللغوي في التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير**، تر: أحمد شاكر الكلابي ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس الجماهيرية الوطنية، ج1، د–ت. ص21 بتصرف

[2]- https://ar.wikipedia.org/wiki –بتصرّف– يوم: *20 03 2023*م

[3]- أحمد مومن، **اللسانيات، النشأة والتطور**، ط3، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007م. ص60

[4]- المرجع السابق، **ص ن**.

لا نستبعد تطوير سوسير لمفهوم "الإبداع اللغوي" وثنائية اللسان والكلام، من خلال تأثير نصوص همبولت على مجمل الدرس اللساني الحديث في الغرب.

على كلّ حال فإنّ كلّ هذه المحاولات الناجحة والعديد غيرها، رشّحت أعمال ويليام جيمس –كما أسلفنا– لتكون البداية الحقيقية "للسانيات التاريخية / *La linguistique Historique* " وذلك لاكتشافه العلاقة القائمة بين اللغة الهندية القديمة واللغة اليونانية واللاتينية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى.

يقول أحمد مومن "..عادة ما يؤرّخ الباحثون اللسانيات التاريخية والمقارنة من سنة *1786*م.."[1] وهي السنة التي تمّت –الإشارة إليها سابقًا– بنشر إعلانه أمام الجمعية الملكية الأسيوية.

ج/ج)- نشاط المقارنة والتاريخية: غالبًا –ما– يميل بعض الباحثين (في الغرب والعرب في عصر النهضة وحتى عند عرب المعاصريين)[*] إلى التفريق بين اللسانيات المقارنة واللسانيات التاريخية، وهذه العادة تتجنب إلحاق (المقارنة/ التاريخية) في تركيب واحد، ويستعمل بدل ذلك مصطلح "النحو المقارن" أو "علم اللغة المقارن" والأمر في الحقيقة ليس كذلك؛ إذ إنّ اللسانيات المقارنة هي اللسانيات التاريخية عند أكابر المؤرّخين "..فقد عَنْوَنَ روبن هنري روبنز أحد فصول كتابه باللسانيات التاريخية والمقارنة في القرن التاسع عشر الميلادي، كما أكّد سامبسون على أنّ اللسانيات التاريخية تعرف أيضا باسم الفيلولوجيا، وقد فصل الإنجليزي الشهير جون

[1])- أحمد مومن، **اللسانيات، النشأة والتطور**، ص*59*.

[*])- ومن أمثلة ذلك نجد مصطفى غلفان نفسه يفصل بين اللسانيات التاريخية واللسانيات المقارنة في كتابه "اللسانيات" حيث خصّص الفصل السادس للسانيات المقارنة في حين جعل الفصل السابع للسانيات التاريخية، جاعلا جيمس زعيم المقارنة وهمبولت شيخ التاريخانيين، ينظر: مصطفى غلفان. **في اللسانيات العامة، تاريخها. طبيعتها. موضوعها. مفاهيمها**. الصفحات (من *165/141*)، في حين أنّ عبد الرحمن الحاج صالح لم يفصل بينهما وقد جاء عنوان أحد فصول كتابه "**بحوث ودراسات في علوم اللسان**" على هذا النحو "القرن التاسع عشر؛ عصر المقارنة والتاريخية" ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، **دراسات وبحوث في علوم اللسان**، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د–ط، 2012م، ص 111 وما بعدها.

ليونز في هذا الأمر بقوله؛[1] "..إنّ اللسانيات المقارنة كانت تعني في مفهوم علماء القرن التاسع عشر ما تعنيه تماما اللسانيات التاريخية.." حيث خَلُص المؤرّخون المعاصرون إلى أنّ التفريق بينهما كان تقليدًا أكاديميا للجامعات الفرنسية، ونقصًا في الاطلاع على ما ينشر عند جيرانهم الألمان، وهذا أنطوان ميي يبرّر ذلك بقوله: "..إنّ في الوقت نفسه كان بوب ينشر في النحو المقارن، كان جاكوب غريم يؤلّف في النحو التاريخي للغة الألمانية، وبعدها قلّد بعضهم الآخر هذا النموذج تقليدًا شديدًا وقام دياز بتأليف النحو المقارن التاريخي للغات الرومانسية في آن واحد.."[2] وبهذا ينهي التفريق بطريقة مخاتلة نوعا ما حيث مازالت المؤلفات وبخاصة الصادرة عن المجامع والمدارس الفرنسية تفرّق بينهما بشكل واضح.

وتكون بذلك اللسانيات التاريخية المقارنة علمًا يهتمّ بدراسة اللغات البشرية وفق منهج موضوعي أصبحنا نسميه في الأعراف المعاصرة بمصطلح "**الوصفي/الوصفية**" فهو يصف اللغات التي تقوم بمقارنتها ويؤرّخ لها، فهو يقارنها بين فترتين زمنيتين مختلفتين، ويكون علمًا موضوعيا عندما يقوم بتصنيف النماذج وفق الأشباه والنظائر من النواحي الصوتية والتركيبية .. وغيرها، يقول ماريو باي "..إنّ منهج البحث التاريخي المقارن –ربما– امتزج بالمنهج الوصفي حين يأخذ الدارس له ما بين فترتين زمنيتين معالجًا كلاًّ منهما –أوّلا– معالجة وصفية (ذلك باستخلاص النماذج الصوتية والتراكيب النحوية والرصيد اللغوي لكل مرحلة من راحل اللغة) ، وأخيرًا يقارن بين الاثنين ليصل من ذلك إلى التغيّرات التي طرأت على الظواهر التي يهتم بدراستها.."[3] وما تتجدر الإشارة إليه هو ضرورة التفريق بين اللسانيات التاريخية وتاريخ اللسانيات وتاريخ اللسان فلكل واحدة سياق معرفي خاص بها؛ لأنّ تاريخ اللسان يعني مجموع التغيرات التي خضعت لها الألسن داخل بنيتها التركيبية، أمّا تاريخ اللسانيات فهي رصد المحطات والأفكار والنظريات والمناهج التي مرّت عليها الدراسات اللغوية، وبالعودة وَصْلا

1)- أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطور**. ص 66 بتصرف

2)- **المرجع السابق**، ص65

3)- ماريو باي، **أسس علم اللغة**. تر : أحمد عمر مختار، ط*8*، عالم الكتاب، القاهرة مصر، *1998*م، ص*59*

إلى ماريو باي يرى صاحب معجم اللسانيات جون ديبوا بأنّ "..اللسانيات التاريخية هو علم يحاول تفسيير التغيّرات التي تحدث للغة أو لمجموع اللغات على النحو الذي تبحث فيه اللسانيات المقارنة، ويمكن القول إنّ اللسانيات التاريخية هو المصطلح الأقلّ دقّة مقابلة بالزمنية ***la diachronie***"[1] وبالتالي فإنّه لا مجال –اليوم– من النظر إلى اللسانيات التاريخية بأنّها كانت محاولات غير صائبة والخاطئة لتحليل اللغات البشرية أو أنّه يمكن الاستغناء عنها واستبدالها –بسهولة– باللسانيات العامة، حيث توفر اللسانيات التاريخية "..إضاءات أكاديمية مهمّة –جدًّا– على ملاحظات جيمس؛ أي أنّ اللغات الأصل للغات الهندو–أوروبية الأولى، قد أدّى رازموس راسك (***1822/1787***م) وياكوب جريم (***1863/1785***م) وفرانز بوب دورًا كبيرا في ذلك المسعى، وتأسّست عام ***1850***م الدراسة المقارنة لعائلة اللغات الهندو أوروبية على قاعدة محدّدة وموثّقة [..] إذ أدّت إلى الادّعاء وعلى رأسهم ماكس مولر (***1898/1834***م) بأنّ دراسة اللغة أصبحت –أخيرًا علمًا.."[2] وسنجد أنّه وبدءًا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهور مدرسة جديدة يتزعمها العلماء الشباب والذين يطلقون على أنفسهم تسمية "**النحاة الجدد**" والذين أخذوا على عاتقهم إثبات إطراد القوانين الصوتية التي تتحكّم في تطوّر اللغات الهندو–أوروبية بكيفية علمية دقيقة.

ج/د)- نظريات اللسانيات التاريخية المقارنة: سرعان ما بدأت اللسانيات التاريخية في عرض منجزاتها العظيمة وبخاصة مع اعتماد الإجراءات الفيلولوجية تحت مقولتي المقارنة والتاريخ حيث بدأت تتّضح معالم تصنيف أنواع التغيّرات اللغوية ليطفو على سطحها ما سيسمى –لاحقًا– بالمستويات اللغوية التي ستكوّن علاقات شكلية داخل كل مستوى ثم تربط المستويات جميعا بعضها ببعض لتشكل البنية اللغوية الإجمالية أوّ الهيكل البنوي لأي لسان من الألسن؛ حيث لاحظ علماء هذه المرحلة بأنّ التغيّرات اللغوية أربعة أصناف: التغيّرات الصوتية

1)- Jean Dubois et autre, **Dictionnaire de la linguistique**, librairie la rousse, 1er édition. Paris, p244

2)- روى هاريس وتوليت مي نيلر، **أعلام الفكر اللغوي في التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير.** ص 23/22 بتصرّف

بصيغتيها النطقية أو الفنولوجية، والدلالية والتركيبية والمورفولوجية* حيث تنقسم التغيرات الصوتية إلى المماثلة Assimilation، والمخالفة Dissimilation والاختزال الصوتي Haplologie وأخيرًا القلب المكاني Métathèses وما لهم من التأثيرات على المستوى الشكلي والنطقي.

ومن ناحية أخرى شهد موضوع التغيرات اللغوية نظريات عديدة وكثيرة جدًّا، من أشهرها "نظرية البنية الداخلية للغة" والتي قدّمت تصنيفا علميًا معقولاً بناء على الأوضاع الداخلية أي الطبيعة الداخلية من حيث التصريفُ والاشتقاقُ؛ وقد قدّمت هذه النظرية ثلاثة أصناف للغات وهي:

1- اللغات العازلة ***Isolating language***

2- اللغات اللاصقة ***Agglutinatives language***

3- اللغات المتصرفة.

فاللغات العازلة التي اللغات التي تتكوّن كلّ كلمة من جذر واحد غير متغيّر على النحو الذي نجده في اللغات الأفريقية والصينية والتبتية، حيث لا تملك هذه اللغات جهازًا نحويا ولا تتصرّف أو تلحقها زوائد وإضافات ممّا يجعل الكلمة ثابتة الدلالة ولا تتغيّر أبدًا، في حين أنّ الاشتقاقية أو اللاصقة تتكوّن من جذور وزوائد ثابتة وهي الصفة الأكثر ظهورًا في كلّ اللغات اليابانية والأمم البيدائية، أمّا اللغات المتصرفة فهي التي تتغيّر أبنيتها تبعا لتغير معانيها، مثل اللغات السامية كالعربية والفارسية والعبرية ... والهندو أوروبية والسنسكريتية.

---

*)- عادة ما يجانب المترجمون الصواب في ترجمة مصطلح المورفولوجيا "***Morphologie***" عندما يترجمونه بالبنائي أو الصرفي، كما يخطئ كثير من اللسانيين الأوروبيين عندما يفهمونه -أيضا- بهذا المضمون في نقل نصوص المقارنين والنحاة الجدد؛ لأنّ المورفولوجيا عند هؤلاء إنّما المقصود هو **شكل الكلمة** وليس بناؤها الصرفي "**التصريف**" وقد نبّه إلى ذلك أندري مارتنيه في تلقي ونقل نصوص همبولت من الألمانية إلى الفرنسية أو الإنجليزية، ينظر الحوار المتلفز بين أندري مارتنيه وميشال أريفيه بتاريخ ***05*** فيفري ***1993***م، المنشور على الرابط الآتي: ***https://www.youtube.com/watch?v=vbKmOx1r5Y0*** المطلع عليه يوم ***05*** ماي ***2023***م على الساعة (***15.44***سا).

وما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضع أنّ بعض اللغات مثل اللغة الإنجليزية تظهر خصائصا عازلة بالرغم من أنّها من اللغات اللاصقة والمتصرفة، فلو مثّلنا لذلك لوجدنا أن كلمة (***light***) تدلّ على الفعل والاسم والصفة في آن واحد.

ويتزعّم هذه النظرية بشكل أساسي اللسانيان الألمانيان الأخوان " فردريك شليجل *Friedrich Schlegel*" (***1829/1772***) صاحب الكتاب التاريخي الذي عنونه "**حول لغة وحكمة الهند**"* المنشور سنة ***1808***م، وأوجيست فلهلم شليجل *August Wilhelm Schlegel* (***1845/1767***م) ولم يتوقفا عند هذا الحدّ من التصنيف، بل وأردفا بأن أصل اللغات جميعا تعود إلى اللغة الأم تسمي بالألمانية (***Ursprache***) وتمرّ كافة اللغات بهذه المراحل بدءًا من المرحلة العازلة ثمّ اللاصقة وأخيرًا المتصرفة، مع إمكانية توقف بعض اللغات في مرحلة من هذه المراحل، وقد قوبلت هذه النظرية –لاحقا– بنقد عميق من لدن اللسانيين المعاصرين لها، غير أنّنا اليوم نرى بأن اللغات يمكن أن تحتفظ ببعض السمات التي لم تتطوّر مع التطور البنوي العام لها، على النحو الذي رأيناه في مثال الضوء باللغة الإنجليزية، بل وحتى في العربية نجد مثلا السمة العازلة البدائية في جملة "**ضرب موسى عيسى**" فيتوجب علينا قبول موسى فاعلا وعيسى مفعولا لوجود الغموض واللبس.

كما نلمس في هذه المرحلة تطوير النظرية "**السيكولوجية**" التي تحاول ربط التغيرات التي تحدث على مستوى اللغات بناءً على التغيرات والتقلّبات النفسية للأفراد، وبالتالي فعلى –عكس– نظرية التغيّرات الداخلية للغة، يزعم هذا الاتّجاه بأنّ التغيّرات اللغوية تكون لدواعي وأسباب خارجية عن اللغات، حيث اجتهد "**جاكوب غريم–*1863/1785***" وأخوه "**فلهالم غريم–**

*)– والعنوان الأصلي باللغة الألمانية هو (*Über die Sprache und Weisheit der Indier*) . كان موضوعه يتمحور حول فكرة مفادها أنّ الشعوب هندية الأصل هي مؤسسة الحضارات الأوروبية الأولى؛ إذ قارن اللغة السنسكريتية باللاتينية واليونانية والفارسية والألمانية، وأشار إلى من أوجه التشابه في المفردات والقواعد. أصبح تأكيد الميزات المشتركة لهذه اللغات مقبولًا بشكل عام الآن، للتفصيل ينظر: ترجمة أوقيست شليجل على موقع: ***https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8*** يوم ***20*** أفريل ***2023***م

1859/1786" على وصف كافة التغيرات والإبداعات التي تحدث على اللغات بسبب الطبائع الفيسيولوجية والسيكولوجية فكلّما أظهر شعب من الشعوب قوة نفسية وتصل بها إلى مصاف الإبداع والخلق كلّما تغيّرت لغته، والعكس صحيح أيضا فالنفسية الخلاّقة التي يتوفر –حسب الأخوين– عليها الشعب الألماني أدّت إلى تطوير اللغة الألمانية، يقول "..إنّ التغيّرات التي لحقت اللغة الألمانية والتي تُعزى إلى قدرة العنصر الألماني الآري على الإبداع والتغيير.."[1] وهذا النوع من التصوّرات هو ما كان –يترقّبه– جماعة العلماء الشباب أو"النحاة الجدد ***Neo-grammarian***".

استفاد النحاة الجدد من البحوث التي قدّمها (**غريم**/*Grimm*) حيث "..أفسحت السبيل إلى علم النفس ليكون عوناً لهم على البحث اللساني، ذلك أنّ بمقدوره تحليل روابط اللغة بالفكر وشرع اللسانيون المحدّثون يقترضون من علم النفس، وقد بسط جناحيه في المناظرات العلمية مصطلحاته وآلياته وفرضياته ومنهجه وأخذوا يولون عامل النفي لمتكلّم اللغة اهتماما فائقًا.."[2] وتكثّف الجهود أكثر على أيدي الفقيه الكلاسيكي وعالم فقه اللغة الألمانية والسنسكريتيات واللسانيات المقارنة "**هيرمان أوستهوف**"* والمستشرق الألماني الشهير –أيضا– "**كارل بروكلمان**" (*1956/1868*م) حيث ألّفا كتابًا مشتركًا سنة ***1910***م بعنوان "**دراسات مورفولوجية في اللغات الهندو-أوروبية** *Morphological investigations in the field of the Indo-European languages*– الذي سرعان ما تلقّفه العلماء ليحوّلوه إلى إنجيل اللسانيات المقارنة، والفيلولوجية الأرثودوكسية.

---

[1]– أحمد مومن، **اللسانيات؛ النشأة والتطور**. ص*80*

[2]– وليد السراقبيّ، **الألسنية؛ مفهومها ومبانيها المعرفية ومدراسها**. ط*1*، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. بيروت لبنان *2019*م، ص*20*

*)– يعدّ هيرمان أوستهوف *Hermann Osthoff* *1909/1947*م، من كبار اللسانيين التاريخيين الذين لم يأخذوا مكانتهم المستحقّة في العصر الحديث بالرغم من أنّه قد ألّف مجموعة من الكتب المرجعية في اللسانيات التاريخية، فقد ألّف –فضلا عن –المذكور في المتن– *The verb in nominal composition in German, Greek, Slavic and Romance, 1878* أو الفعل في التكوين الاسمي للغة الألمانية واليونانية والسلافية والرومانسية، و *The physiological and psychological moment in linguistic morphogenesis, 1879* اللحظة الفيسيولوجية والنفسية في التكوين اللغوي، و *1884 – History of perfects in Indo-European* أو تاريخ اكتمال اللغات الهندو أوروبية، وكلّها مصادر أساسية لفهم هذه القضايا القديمة.

وقد تبع هذا النضج اللساني المقارن والتاريخي جملة من النظريات الأخرى مثل نظرية الشهرة الاجتماعية، التي ترى بأنّ طبيعة اللغات هي طبيعة مسالمة جدًّا فيما بينها، وتشتغل جنبًا إلى جنب في تناسق تام، غير أنّ العامل البشري ببعده التسلطي يجعلها تتصارع فيما بينها وتفرض بعض اللغات هيمنة على الأخريات عندما يكون متكلموها ذوي هيمنة على الشعوب الأخرى دون أي مسوغ داخلي للغة في ذاتها، فاليونانية –مثلا– سادت العالم القديم بسبب هيمنة الأغارقة وتلتها الهيمنة اللاتينية لقوة الإمبراطورية في القرون الوسطى، واليوم نرى أنّ اللغة الإنجليزية قد قضت على اللغات المحلية في إنجلترا وأمريكا وأصبحت لغة عالمية بالرغم من أن بنيتها الداخلية هشة جّدًا بل تقترب أن تكون بدائية.

أمّا النظرية الأخرى التي عرضت في هذه الحقبة فهي نظرية الذوق التي اقترحها **هيجو شوشار** (*hugo schuchard1842/1924*) حيث نشر كتابه الأوّل بعنوان "**أصل اللغات الرومنسية؛** *Romanische Etymologien*" سنة *1899*م، وكتابه "**أصل اللغة** *Sprachursprung* " سنة *1920*م، هذه النظرية التي ترفض –بدورها– فكرة بناء التغيرات اللغوية على المعطيات الداخلية للغة، وإنّما تعود بالأساس إلى الميولات الذوقية للمتكلمين والعشائر اللغوية، فنجد مثلا المجتمعات الفرنسية والأمريكية المعروفة "**بالأخاليط اللغوية** ***les amalgames linguistiques***" النابعة من أصول مشتركة أو مختلفة ولكنهم فضّلوا في الأخير اللغة الفرنسية والتي كانت لغة أقلية في باريس وتعميمها على كافة المقاطعات والمستعمرات، والإنجليزية في إنجلترا على حساب اللغة الويلزية، وعلى حساب السواحلية والهندو أمريكية، في العالم الجديد، ولم تكن قريشٌ بمنأى عن هذه الرغبات، فقد ذكر الفرابي (تـ*339*ه) أنّها كانت تأخذ من مختلف القبائل ما يتناسب مع ذائقتها الفصيحة حتى أصبحت أفصح العرب قاطبة ونموذجا لقياس الفصاحات المتاخمة، يقول: "..كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها

مسموعًا وأبينها إبانةً عند النطق.."[1] ومع ذلك فإنّ هذه النظرية قلّما يُلتفت إليها أو تناقش في الدوائر العلمية والأكاديمية؛ لأنّ إجراءات العلم آنذاك لم تكن تأخذ بالأذواق أو الجماليات على أنّها معايير معقولة للعلم، يقول أحمد مومن: ".. لقد رُفضت هذه النظرية رفضا باتًا من قبل الاتّجاه السائد في اللسانيات التاريخية الألمانية والأمريكية، وقد انتقدها هال في ***1946*** وقال إنّها لا تستحق أي تقدير على الإطلاق.."[2] فتاريخ العلم لم يكن عادلاً –دوما– في تقدير المنجزات وهذه نظرية –أخرى– يتمّ التغاضي عنها لأسباب غير موضوعية وتضاف إلى قائمة طويلة من تلك الفرضيات المنسية عمدًا، ويبقى المستقبل كفيلا بالالتفات إلى هذه النظريات والنظريات الأخرى والتحقّق منها وتفحص صحّتها وبطلانها.

وعلى خلاف هذه التوجّهات يعرض **أوقيست شلايشر** (***August schliecher 1821-1868***) نظريته الشهيرة "نظرية الأسر اللغوية/ أو شجرة اللغات" وهي النظرية الأكثر تأثيرًا في اللسانيات التاريخية والتي ستدفع بهذا العلم إلى أقصى حدود تحمّلاته –بل وحتى إلى انهياره لاحقا– حيث دأب شلايشر –دون هوادة– على رسم خارطة القرابة بين اللغة الأصلية الأولى واللغات الهندو–أوروبية، زاعمًا –مع أتباعه– أنّ اللغة الأم المسماة في عرف المقارنين الألمان (***Ursprache***) انقسمت إلى فرعين أساسين، ومع مرور الوقت تفرّعت إلى كلّ هذه اللغات المتداولة الآن بتغيرات شبه كاملة لبنيتها الداخلية وعلى مختلف المستويات، ولا يختلف –عادة النقّاد– في وصف المنهجية التي اعتمدها شلايشر في تصنيف اللغات وتتبّع تطوّراتها ورصد الأنماط المشتركة والمطّردة بينها، إنّما هي منهجية مستوحاة –بأمانة شديدة– من المنهج الداروني (***Darwinisme***) البيولوجي، ويعلّق روبن هنري روبن، ويقول".. إنّ هذه النظرية تدين بالفضل إلى مناهج التصنيف النباتي .. وإلى إعادة بناء نسب المخطوطات التي قدّمها

---

[1]– جلال الدين السوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط، منشورات المكتبة العصرية بيروت لبنان، ***1976***، ج***1***/ص***119***

[2]– أحمد مومن، **اللسانيات، النشأة والتطور**. ص ***81***

أستاذه ريتشل.."[1] أمّا ج. مونان فقد رأى أنّ هذه النظرية تهدف إلى جعل التاريخ اللغوي يتناسق والنظرية البيولوجية التطوّرية التي نادى بها تشالز داروين،[2] في حين يرى أحمد مومن أنّه وبغض النظر عن هذه الاعتبارات فإنّ بناء شجرة النسب اللغوي تعدّ محاولة شيّقة[3] للغاية يتطلّع إليها كلّ من يهتمّ بتاريخ اللغات وتاريخ البشرية بشكل عام، وقد ذكر عبد الرحمن الحاج صالح بأنّ أفضلية شلاشير تمكن في معرفته بعلم النبات، "..وهو أوّل من طبّق الداروينية (حرفيا) على اللغات البشرية، فكان يأبى بأن يقال إنّها حدث بشري محض، ويأبى أن يعتبر علم اللسان من العلوم الإنسانية! بل كان يغلو في اعتقاده مدّعيًا أنّه علم طبيعي بحت.."[4] وككلّ بحث علمي فإنّه لا يسلم من مراجعات عميقة، حيث إنهال العلماء على هذه الشجرة التي اقترحها وعدّلوا فيها فروعًا كثيرة بل ولا تكاد الشجرة اللغوية التي اتفق عليها العلماء في العصر الحالي تشبه تلك التي اقترحها منذ ما يزيد عن قرن، وعلى كلّ حال أقنعت أعماله تقريبا كلّ علماء جيله حتى أصبحت اللغة كائناً بيولوجيا حيًّا مثلها مثل باقي المخلوقات الطبيعية، وهذه هي الفكرة التي ستحبل بمختلف النقود والمراجعات التي ستلد اللسانيات العامة بعد فترة وجيزة.

لم تكن أعمال شلايشر تتطوّر بعيدةً عن أعين العلماء أو أنّها تنشر وتنتقل بينهم سرًّا، بل كانت تصلهم في وقتها ودون بذل مجهود، وهذا ما خلق انقسامًا لعلماء عصره بين متبنّيها ومدافعيها ورافضيها وكان من أهمّ شيوخ الطائفة الثانية، اللساني الألماني **يوهانس شميدت** (*Johnnes schmidt 1843-1901*)، المعروف بين أوساط التاريخيين بصاحب نظرية الموجة أو **نموذج الموجة**، (*Wellen théorie*) وبالألمانية (***Wellentheorie***).

يقول شميدت ".. اللسانيات تُصنّف تمامًا في العلوم التي نسميها تاريخية، ليس لأنّ اللغة هي عمل اعتباطي وطوعي للفكر الإنسانيّ، بل لأنّها لا يمكن أن تحدث وتتطوّر إلاّ في وسط

---

1)- روبن هنري روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**. تر: أحمد عوض، ص*170*

2)- جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين**، ص *83* بتصرّف

3)- أحمد مومن، **اللسانيات: النشأة والتطور**. ص *82*

4)- عبد الرحمن الحاج صالح، **بحوث ودراسات في علوم اللسان**. ص*121*

تاريخي، فاللغات لا تحمل في ذاتها قانونَ نموّها وتلفها، مثل الكائنات العضوية، وليس لها صورة ضرورية، أو أعضاء في علاقة ثابتة مع هذه الصورة، وعندما ننعتها بأنّها "جسم عضوي" ولا نزعم بناء مملكة رابعة موجودة في الطبيعة.."[1] وبهذا يكون شميدت قد ردّ اللسانيات التاريخية إلى حقول العلوم الإنسانية، ويرفض النموذج الشجري الذي اقترحه شلايشر كما يرفض بشدّة أن تكون اللغات كائنات عضوية، وبديل ذلك هو أنّ اللغات تتطوّر –من خلال– التصدّعات الاجتماعية والتشابكات اللغوية المعقّد.

فهي تحاكي عملية إلقاء حجر على بركة ماء حيث ترتسم نتيجة تصادم الحجر بسطح الماء دوائرٌ تأخذ في الاتساع –شيئا فشيئًا– وتلتقى محيطات هذه الدوائر بعضُها ببعضٍ وكذلك إلى أن تذوب هذه الدوائر وتضمحل، فاللغات التي انتشرت –الآن– بين البشر والتي اضمحلّت وماتت في الماضي واللغات التي ستولد مستقبلا محكومة بمنطق هذه الدوائر، وهكذا يكون شميدت – في اعتقاده– قد فسّر وشرح كيفية انتشار اللغات ذات الأصل المشترك الواحد، وهو اعتقاد فيه نظر! لأنّه في الحقيقة –ودونما وعي منه– قد أكمل أطروحة شلايشر وحسّنها مدعّما فيها مواطن الضعف، يقول روبن هنري روبنز ".. إنّ شميدت قام باستكمال وليس باستبدال شجرة النسب بنظريته هذه؛ إذ يرى بأنّ التغيّرات اللغوية بما فيها التغيّرات الصوتية تنتشر في مكان معيّن من لهجة إلى لهجة ومن لغة إلى لغة مادامت هناك اتصالات لغوية، وبهذا تكون النظرية قد بُنيت على مبادئ اللسانيات الجغرافية..."[2] وهذا لا ينقص من فائدة نظريته التي بنيت عليها نظريات أخرى بعده وبخاصة اللسانيات اللهجية *Linguistique Dialectale* واللسانيات الجغرافية *Linguistique Géographique* وزادت في تعميق فهمنا أكثر بطبيعة اللهجات.

---

[1]- يسلقان أورو، **مسألة أصل اللغات، يليه تاريخ العلوم**. تر: نادية العمري، مراجعة عبد القادر الفاسي الفهري، ط*1*، دار الكتاب الجديد المتحدة، بن غازي ليبيا، *2013*م، ص*94*

[2]- روبن هنري روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**. ص*179*

وبعد هذه الاتجاهات الكبرى –والعديد غيرها كثيرٌ جدًّا– لم يعد ممكنًا –بأي حال– حصر كافة النظريات والفرضيات المتزاحمة؛ حيث نجد نظرية "**تسهيل النطق**" التي يتزعّمها الدانماركي الشهير أوتو يسبرسن (*1860–1943*م) والعالم الأمريكي الجليل ويليام داويت وايتني (*1827/1894*م) والتي نلمس آثارها العميقة في فكر الأب الأعلى للسانيات العامة (فردينان دي سوسير *Ferdinand de Saussure 1857/1913*م)، كما اُقترحت –أيضا– النظرية الفيزيولوجية لــ"هيرمان أوستهوف" الذي –مرّ بنا ذكره– والنظرية الوراثية، والنظرية الجغرافية لــ"**هنريش ماير**" وسُردت الحجج والبراهين وكثرت الاستدلالات وتحلّق العلماء في مدارس كبرى ومناهج مهيمنة، ولا يقف أي باحث وهو يتأمّل هذا الركام الهائل من المعارف والنظريات التي –حقيقة– تحبس الأنفاس وتأسر الأفئدة وبخاصة في ألمانيا وفرنسا، وعلى نحوٍ مفاجئ يظهر بينهم جميعًا وجهٌ مألوف وشخصية ستُعيد النظر في كلّ المعرف اللسانية تقريبا ولا نجد بُدًّا من أخذ نفسٍ عميق، والقول ".. **وأخيرا جاء سوسير**.. ***En fin Saussure vint***"*

ج/هـ)- السوسيرية واللسانيات الوصفية الآنية: من الصعب –جدًّا– بل! ويكاد أغلب الباحثين يتجنّبون وصف اللسانيات والحديث –مباشرة– عن سوسير إلاّ لِمَامًا أو في شموليتهما، ويفضل كثيرٌ منهم تجاوز تحليل لحظة اللسانيات أو تقديم منجزات سوسير حتى بعد قرن كامل ليس من وفاته وإنّما من نشر كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة (**C.L.G**) الذي قدّمه طلبته للنشر في شهر جويلية *1915*م، ونشر في بداية سنة *1916*م، وهاهو ميشال أريفيه –نفسه– يعبّر عن هذا الهاجس، ويقول: "...أقدّم نفسي في هذا الكتاب [*A la recherche de Ferdinand de Saussure*] ضحية راضية بما أحدثته فيَّ محاكاة سوسير، ولم تكن لديّ القدرة –وبعبارة أدقّ– عدلت أن تكون لي القدرة على بناء سياج حول مكان غير مسيّج.."[1] في حين اكتفى لويس

*)- هي عبارة ردّدها تقريبا كل اللسانيين عام *1968*م، قياسًا على نمط العبارة الشهيرة التي قالها بوالو (***Boileau***) "**وأخيرًا جاء ماليرب *Malherbe***" فحتى جورج مونان لم يجد وصفًا مناسبًا للحظة ميلاد اللسانيات غيرها.

1)- ميشال أريفيه، **البحث عن فردينان دو سوسير**، تر: محمد محمود البقاعي، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2009م. ص27

هلمسلايف بعرض قناعته "..أنّ سوسير رائد اللسانيات وأنّه المُعلّم الذي لا ينازع.."[1] وقد أصاب –كثيرًا– حسين السوداني إذ نزّل[2] "..سوسير منزلة البوصلة في التأريخ للدراسات اللسانية المعاصرة؛ فانطلاقًا منه يحدّد الدارسون ما قبل سوسير وما بعده في المناهج والدراسات، وفي التقدير العربي تُنزّل دروسه في اللسانيات منزلة كتاب سيبويه في النحو.." لهذا فإنّه يتوجب –على الأقل– وبشكل مؤقت تقديم سوسير كما أراده طلبته سنة ***1916***م والطبعات المتوالية.

ج/هـ-أ)- طلبة سوسير، الجسر نحو اللسانيات العامة: يشكّل –هذه– الكتاب المدونة الملخّصة للفكر اللساني المقدّم –بيداغوجيًا– كإملاءات وملاحظات في ثلاث محاضرات أساسية،[3] قدّمت من بين (*1907* إلى غاية *1911*م)، على طلبة الدراسات العليا، تخصّص: اللسانيات التاريخية المقارنة، وعددهم *29* طالبًا (*28* ذكور وطالبة واحدة، والتي ستكون –لا حقا– السيدة سيشهاي) ".. ولقد كان ليوبولد غوتيي من قائمة الطلبة الذين تابعوا دروس سوسير في اللسانيات العامة و*6* طلبة (من بينهم رايدلنغر ولويس كاي) في السنة الأولى (*1907*)، و*11* طالبًا من بينهم (ألبير رايدلنغر وليوبولد غوتيي وشاردي وإيميل كنستنتان)، وفي السنة الثانية (*1909/1908*م)، و*12* طالبًا (من بينهم جورج دوغاليي وفرانسيس جوزيف والسيدة سيشهاي إيميل كونستنتان، بول روغار) في السنة الجامعية الأخيرة (*1911/1910*م).."[4] وهؤلاء الطلبة ليسوا –جميعًا– من جنيف أو فرنسا –فقط– وإنمّا التف حوله ما يقارب (*40* جنسية مختلفة) يقول تيلو دومورو "..فمن الذين كانوا يحضرون دروس سوسير؛ *16* ألمانيًا، و*9* سويسريين

---

[1]- Louis HJELMSLEV, **Prolégomènes à une théorie du la langue**. "..*un seul théoricien mérite d'être cité comme un devancier indiscutable ; le Suisse Ferdinand de Saussure..*" P14

[2]- حسين السوداني، **أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، التلقي العربي للسانيات**. ط*1*، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، *2019*م، ص*17*

[3]- Ferdinand de Saussure, **Cours de linguistique générale**, Tullio de Mauro, P7

[4]- سيمون بوكي ورودولف أنجلر، **فردينان دي سوسير، نصوص في اللسانيات العامة**. تر: مختار زواوي، ط*1* ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، *2021*م، ص *103*. أمّا إذا عدنا إلى أرشيف جامعتي جنيف وكولاج دو فرانس COLLÈGE DE FRANCE فإنّنا نجد قد درس على أيدي سوسير من *1891* إلى *1913*م، ما يبلغ (*250* طالبًا).

و4 رومانيين و4 بلجيكيين وطالبان من روسيا وطالبان من هولندا وطالب واحد من السويد.."[1] حيث سيسهم هذا التنوع بين أوساط الطلبة في انتشار أفكار سوسير في كافة أقطار العالم بسرعة –شديدة– ومن المؤسف –حقيقة– أنّه لم يكن أي طالب عربي لا في المرحلة السويسرية ولا في الباريسية، بالرغم من مواصلة تدفّق البعثات من مصر وسوريا وبعض دول الخليج التي كانت الجامعات الفرنسية وجهتهم المفضّلة.

وبغض النظر عن ذلك، فإنّ مشروع تأليف الطلبة لكتاب يحفظ أفكار "أستاذهم" هو الهاجس الذي تمكّن –في البداية– من أنطوان ميي وبول روغار وشارل بالي، غير أنّ –تقعّس– "ميي" أجهض المشروع تماما، حيث نقرأ في رسالته إلى شارل بالي *1913*م، الآتي: "**.. زميلي العزيز، لقد عدت الاثنين الماضي وذهب غوتيي في سفر وإنّ باريس من دونه فارغة تماما، وإنّي أخبرك كما أخبرت السيدة ماريا سوسير بأنّ المشروع الذي كنت أنوي الإعداد له بمعية السيد روغار بات مُلْغَىً، ولما كان هذا المشروع دائم الارتباط بقبولكم به، فلا يسعني المضي فيه، وإنّ لكم اختيارات أخرى..**"[2] ثمّ يأتي ردّ –شارل بالي– على هذه الرسالة بتاريخ: الخميس *29* ماي *1913*م؛ يقول فيها "**...لقد زرت السيدة سوسير الأسبوع الماضي لأطلعها بالأمر فأخبرتني بأنّ السيدين ألبير سيشهاي وليوبولد غوتيي حدّثاها بشأن الموضوع، وأنّها لا تنوي إبداء الرأي فيه حتى يتمّ استكمال التحرّي..**"[3] ومع إصرار شارل بالي وألبير سيشهاي سيتم فيما بعد تحرير –يدويًا– المسودة الأولى التي ستتحوّل إلى الكتاب المنشور سنة *1916*م، عن دار نشر فرنسية (*Payot*)، ولكن المشكلة التي يتجنّبها المؤرخون من أنطوان ميي حتى سيمون بوكي أنّ هذه المخطوطة اليدوية لم تكن لا بخط سيشهاي ولا بالي ولا حتى رايدلنجر، فخطّ هؤلاء وآخرين؛ كونتستنتان جوزيف غوتيي ...الخ معروفة تماما وهي في أرشيفات الجامعتين الفرنسية والسويسرية، ولكن الخط الذي نجده في

---

1)- Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, Tullio de Mauro, P335

كذلك:– حسين السوداني، **أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، التلقي العربي للسانيات**. ص*24*

2)- سيمون بوكي ورودولف أنجلر، **فردينان دي سوسير، نصوص في اللسانيات العامة**. مراسلات شارل بالي وأنطوان ميي (*1906–1932*م)، تر: مختار زواوي، **المرجع السابق**، ص*108*

3)- **المرجع السالف**، ص ن

المسودّة يختلف عنهم جميعا وليس قريبا حتى، فَبِيَدِ من أُعدّت مسودّة محاضرات في اللسانيات العامة؟ إنّ الجواب على هذا السؤال بسيط جدًّا وهو لا نعرّف! بالرغم من أنّنا بعد قرن ونيّف من تحقيق العلماء والحفر والتنقيب عن كلّ ما يمتّ لسوسير بصلة، إلى درجة أنّنا بتنا اليوم نعرف كل شيء تقريبا عنه، إلاّ صاحب هذا الخطّ الذي يسميه سيمون بوكي "صاحب الخطّ المجهول".[1] والذي بقي غامضًا –قابلا لتأويلات عديدة– إلى الفترة الراهنة غير أنّ الباحثين قد عادوا إلى نبش هذه المسألة وبخاصة سيمون بوكي نفسه في "نصوص في اللسانيات العامة".

ج/هـ-ب)- طلبة سوسير، البرامج الدراسية التي تمخضت عنها اللسانيات العامة: إذًا توزّعت المحاضرات بين سنة ***1907*** في السنة الأولى؛ وعددها ***12*** محاضرة، و(***1908–1909***م) في السنة الثانية؛ وعددها ***13*** محاضرة، وفي السنة الثالثة (***1910–1911***م) وعددها هذه المرّة ***19*** محاضرة، والجدير بالذكر في –هذا السياق– أنّ إدارة قسم اللسانيات التاريخية والمقارنة قد أضافت إلى سوسير بدءًا من سنة ***1907***م، حجمًا ساعيًا إضافيًا قدره (***04*** ساعة في النحو المقارن، ساعتان في اللسانيات العامة) لتغطية العجز الذي خلّفه تقاعد جوزيف وارتيمار،[2] وفي الحقيقة أنّه من حظّ اللسانيات أنّ تم ذلك كذلك حيث ستولد كافة المحاضرات في سياق تقديم المادتين المضافتين، أمّا بالنسبة للمفردات التي قُدّمت في هذه السنوات، فهي:[3]

أ)- محاضرات السنة أولى جامعية (من *16* جانفي إلى *3* ماي *1907*م): فقد تناولت التعريف باللسانيات (من الداخل والخارج)، ثمّ عرض مبادئ الفنولوجيات، ثم اللسانيات الآنية والزمانية اللسانيات التاريخية التحوّلات الصوتية والقياسية، القياس؛ مبدأ عام لإبداعات اللسان؛ اللسان

---

[1]– سيمون بوكي ورودولف أنجلر، **فردينان دي سوسير، نصوص في اللسانيات العامة.** ، ص***109***

[2]– المرجع السابق، ص***108***

[3]– هناك تقريبًا مصدر واحد دقيق في نقل البرامج الدراسية بمفرداتها وتحليلها، وهو العمل الذي قدّمه بوتا (*C. Bota*) تحت عنوان "*la question de l'ordre dans les cours et les écrits saussuriens de linguistique générale ; essai de refonte géométrique, cahiers n55, 2002*" وقد نقلها "مختار زواوي" إلى الثقافة العربية بترجمة ممتازة، ونحن نقلنا النص كما هو بالرغم من طوله المفرط. **فردينان دي سوسير، نصوص في اللسانيات العامة.** من ص***93*** إلى ***95***. أمّا التواريخ فقد نقلها دمورو تيلو، Ferdinand de Saussure, cours de linguistique générale, ص353

والكلام، التصنيف الداخلي للأحداث اللغوية، السوابق الجذور واللواحق، الأسلوب الإلصاقي والأسلوب القياسي التأثيل *Etymologie* أو الاشتقاق الشعبي، نظر على التاريخ الداخلي والخارجي لعائلة الألسن الهندو-أوروبية، طريقة إعادة التركيب وقيمتها.

ب)- محاضرات السنة الثانية جامعية (من *1* نوفمبر *1908* إلى *24* جوان *1909*م): وقد قدّم سوسير؛ اللسانيات وموضوعها، طبيعة اللسان، التحليل والتركيب وسيميولوجيات النسق العلاماتي، مسألة التماثل، اللسانيات الداخلية والخارجية، التماثل الدياكروني والتماثل السنكروني، اللسانيات الثابتة والمتحوّلة، الجوهر المزدوج للألسن، القياس الفنولوجيات والصوتيات، لسانيات هندية-أوروبية مدخل إلى اللسانيات العامة.

ج)- محاضرات السنة الثالثة جامعية (من *29* أكتوبر *1910* إلى *4* ماي *1911*م): وهي السنة التي أبدع فيها سوسير حقيقة- والتي كانت أكثر تعبًا واجتهادًا بالنسبة إليه، حيث تشكّلت الثنائيات بأكثر دقّة، ففضلا عن المفردات التي قدّمها في السنتين الماضيتين فقد أضاف ملكة اللغة، التنوع الجغرافي، تمثيل اللسان عن طريق الكتابة، التقابل الصوتي ونظرية القيم، الجدول الجغرافي التاريخي لأهمّ عائلات الألسن الهندية الأوروبية، اللسان والكلام، لسانيات اللسان ولسانيات الكلام، النظام ثبات العلامة وتحوّلها، مسألة الوحدات والكائنات، الاعتباطية النسبية والجدرية، ملكة اللغة والإبداع الفردي.

ج/هـ-ج)- محتوى كتاب محاضرات في اللسانيات العامة *1916*م: تُلخص اللسانيات التاريخية والمقارنة -هوس- العلماء في تفسير التغيّرات التي تطال كافة الألسن، وقد اتّفق -أغلبهم- على المسوغات والعوامل غير اللغوية المؤثرة على اللسان بكيفيات خلافية وتفصيلية بينهم، ومن هذه "المقولة *Catégorie*" تنبثق قناعات سوسير من أنّ التغيّرات اللسانية من المسلّمات، غير أنّه يخالفهم جميعًا في اعتبارها أحداثًا ناتجة عن طبيعة البنية اللسانية الداخلية أساسًا، لا العوامل والنوازل الخارجية التي تبقى عوارضًا وشوادرًا تتعاون جزئيا من القوة المحركة التي تتماز بها الأولى.

ولفحص هذه الفرضيات يقوم كتاب "**المحاضرات C.L.G**" على رسم خطة منهجية لتجريب وإثبات –هذه– المواقف، حيث يبدأ بالنظر في اللسانيات التاريخية من حيث مناهجُها ونظرياتها ومفاهيمها وبين مواطن الوهن فيها، أين تأكد سوسير تماما من عدم قدرتها على وصف الأحداث اللسانية –وصفا معقولا؛ حيث أفصح عن تذمّره عن غموض تصوّراتها إذ يقول "..إنّ هذا القصور في ما هو شائع من المصطلحات والشعور بضرورة إصلاحه ووجوب تحديد ما يمثّله اللسان بصورة عامة ليفسدان عليّ متعتي بالجانب التاريخي.."[1] ليأتي هذا الكتاب حيث يبدأ في الباب الأوّل بتحديد مهمة اللسانيات العامة وحصر مختلف علاقاتها بالعلوم المتاخمة، من (ص*13* إلى *20*) ثم وصف وتأريخها لجميع الألسن ممّا سينتج عنه إعداد تاريخ الأسر اللغوية حيث يتم فيها تجاوز نظريتي شلايشر وشميدت –التي عرضها البحث سابقًا– وبناء اللغات الأمهات لكافة الأسر، كما بحث عن القوى الفاعلة والكشف عن القوانين المتحكمة في دينامية الألسن، وأخيرًا أنّ تحدّد مجالها وتعرّف نفسها،[2] وسيلخصها الناشرون في صفحتين فقط، وبعدها سيكرسون (*10* صفحات) لرصد أهداف اللسانيات من خلال جعل اللسان أداةً للتواصل، ثم ضبط موقع اللسان في خارطة الأحداث اللسانية مع التفريق بين (اللسان واللغة) ويختم هذا المحور بتصنيف رتبة اللسان ضمن سلم السلوكيات البشرية باسيميولوجيا، ثم يأتي بيان لسانيات اللسان ولسانيات الكلام وسرد العناصر الداخلية والخارجية للسان، ثم يعرّج على الكتابة وكيفية تمثيلها للسان بعرض مختلف الأنظمة، ويختم هذا الباب بمباحث الفنولوجيا أو علم وظائف الأصوات، من حيث مبادئها وأنواعها ووصف الأصوات ومخارجها والتقديم لنظرية الفونيم ومختلف النظريات المرتبطة به، في (*40* صفحة).

---

[1]– يواصل سوسير كلامه "..وإنّ كنت أعترف بأنّ أغلى أماني وأعزّها على نفسي هي ألاّ أهتم باللسان من وجهة نظر عامة، إنّ هذا سيفضي بي –أحببت ذلك أم كرهت- إلى وضع كتاب أبيّن فيه دون أدنى حماس لِمَ لا يوجد في اللسانيات التاريخية كلمة واحدة أطلقها على معنى مضبوط عندئذ –فقط- وبعد الفراغ من ذلك يمكنني أن أواصل العمل من حيث تركته.." ينظر: حسين السوداني، **أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي؛ التلقي العربي للسانيات**. ص*23*

[2]– ماري لآن بانو وجورج إليا سرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية**، تر: محمد الراضي. ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2012م. ص108.

ويواصل الناشرون في الباب الثالث بشرح الطبيعة المزدوجة للعلامة اللسانية (الدال والمدلول والدلالة) حيث تطبعها الاعتباطية من جهة والخطّة من جهة أخرى، تحت ثنائية الثبات والتحوّل في (*11* صفحة) في حين رصدوا في الباب الرابع مقولات اللسانيات الآنية (التزامنية) والقيمة اللسانية والتركيب والاستبدال والاعتباطية الجذرية والنسبية ويختم بمباحث النحو وتشعباته، في (*48* صفحة). أمّا الباب الرابع فقد خصّصوه للسانيات التاريخية الدياكرونية وعالجوا فيه الاشتقاق والتغيير والتأثيل في (*66* صفحة)، ويختم الكتاب بمباحث اللسانية الجغرافية وتنوع اللغات وانتشارها في (*24* صفحة)، ليكون مجموع الصفحات ***337*** صفحة.

ج/ج-د)- أثر سوسير والمحاضرات: لقد كان أثر سوسير عميقًا وعظيمًا –في آن– لا على طلبته فقط والعلماء الذين تلقفوه وإنّما على مجمل العلوم الإنسانية والفلسفة، وقد اكتفى جورج مونان في معرض حديثه عن سوسير قائلا "..ومن لم يتأثّر بسوسير؟ فالجميع مُعجب به، أمّا الذين وافقوه فقد ساروا على إثره، والذين عارضوه فإنّهم قد تشبّعوا بأفكاره ثمّ نقدوه.."[1] لهذا فإنّ العلم يدين بالفضل للطلبة الناشرين الذين قدّموا شيخهم للعالم، وإن كان الجدل مازال –قائمًا– حول بعض القضايا والفهوم والعبارات الواردة في "المحاضرات" وفي طريقة ترتيبها وتبويبها وتفصيلها وتحويرها الأمر الذي جعل ملنر (*Jean Claude Milner*) يعلّق قائلا: "..ليست لسانيات اليوم لسانيات سوسيرية رغم أنّ اسم سوسير ما يزال يُثار.."[2] وقد سبقه أنطوان ميي بنقدٍ أشدّ قسوة مباشرة بعد صدور الكتاب، حين كتب قائلا: "لو اطّلع سوسير على المحاضرات لرفضها"[3] إلاّ أنّ عملهم هذا وبكلّ النقائص المسجلة "..فقد عرف مسارًا ممتازًا ومكانة مرموقة قلّما حظي بها عمل علمي آخر طوال القرن العشرين، وما لا خلاف فيه أنّ سوسير كان ولا

---

1)– جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين**، خاتمة الكتاب –بتصرّف–

2)– مصطفى غلفان، **لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد**. ط*1*، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا، *2017*م، ص *13* بتصرّف

3)- *"..C'est cours n'étaient pas destinés à être imprimes et F.de Saussure serait assurément refusé à laisser publier.." A. Meillet, Comptes rendus sur C.L.G. P 32 publier par REVEU TEXTO sur : http://www.revue-texto.net/docannexe/file/113/meillet_cours_1916.pdf* تم الاطلاع عليه يوم *16* جانفي *2023*م،

يزال مرجعًا لا محيد عنه في مجمل الإشكالات التي طرحت في القرن العشرين في جلّ المجالات المرتبطة باللسان.."[1] كما أورد ميشال أريفيه أسماء بعض العلماء الذين اقتفوا أثره في اللسانيات وعلى رأسهم "..تروباتسكوي ومييه ويلمسلايف وجاكبسون وغيوم وبنفنيست ومارتنيه وعدد عديد من العلماء الذين لا يمكن بحال عدّهم أو حصرهم.."[2] كما لاحظ غلفان بأنّه لا يمكن بخل أثر المحاضرات وسوسير على كلّ من بارث وغريماس ولاكان ولفي ستروواش وميرلو بونتي " فاسيمولوجيا –مثلا– تجد أحد مصادرها الأكثر أهمية بلا شكّ بفرنسا وأوروبا في السيميولوجية السوسيرية، فلم يكن لفكر بارث ولا فكر غريماس أن يكون ما هو عليه دون (دروس في اللسانيات العامة) ويصدق الأمر نفسه بالنسبة للسيميائيات وفلسفة اللغة وباقي العلوم الإنسانية مثل علم النفس والاجتماع التي تأثرت تأثرًا متفاوتا بسوسير.."[3]وعليه تكون اللسانيات السوسيرية أفضل الإنجازات العلمية التي تمخضّت عن الفكر الأوروبي في بداية القرن الماضي والذي سيكون دافعا أساسا في انطلاق مدارس علمية في اللسانيات تقريبا في جميع أنحاء العالم بدءًا من حلقة براغ سنة ***1926***م ، وهو التاريخ ما قبل الأخير في تأريخ جورج مونان.

رابعًا)- أثر سوسير والمحاضرات في اللسانيات العربية: توفي سوسير سنة ***1913***م، ونُشر كتابه –المنسوب إليه– كما أسلفنا سنة ***1916***م، وسرعان ما بدأت أفكاره في الانتشار بين أوساط الجامعات العالمية، وتلقى إقبالا –كبيرًا– من لدن النقاد والمحقّقين، وتلقفه المترجمون من مختلف اللغات، فترجم أوّل مرّة إلى اللغة (اليابانية) سنة ***1928***م، ثم (الألمانية) سنة ***1931***م و(الإسبانية) سنة ***1945***م، ثمّ ترجم مرّتين إلى اللغة (الإنجليزية) ***1955*** و***1983***م، وإلى (البولونية) سنة ***1961*** و(المجرية والإيطالية) سنة ***1967***م، و(الإستونية) ***2017***م..."[4] وكان

---

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية: منهجيات واتجاهات**، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة بنغاري، ليبيا، 2013م. ص135 بتصرّف

[2]- حسين السوداني، **أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، التلقي العربي للسانيات**. ص*34*

[3]- مصطفى غلفان، **المرجع السابق**. ص*138*

[4]- حسين السوداني، **المرجع السابق**. ص*42*

حظّ اللغة العربية أن تنتظر ما يقارب سبعين سنةً (*70* سنة) لتحظى بأولى الترجمات الكاملة للمحاضرات بدءًا من سنة ***1984***م، وهذا لا يعني بأنّ العرب لم يعرفوا سوسير وأفكاره طيلة هذه المدّة، بل عندما بدأ بعض الباحثين العرب يؤلّفون أعمالاً –حقيقية– في مجال اللسانيات فإنّ كتاب سوسير لم يترجم حينها إلاّ إلى اللغتين "اليابانية والألمانية"، فهذا رائد العلوم الاجتماعية في العالم العربي علي عبد الواحد وافي (تـــ***1991***م) يتحدّث عن سوسير في وقت مبّكر جدًّا في كتابه "**علم اللغة**" المنشور سنة (***1940***م)، ويقول "..وطائفة من أئمة علماء اللغة انضمت إلى هذه المدرسة –علم الاجتماع اللغوي– واعتنقت مذاهبها، ومن أشهرهم "دوسوسير ومييه وفندريس.."[1] وهي الفترة التي نُشر فيها –أيضا– كتاب إبراهيم أنيس سنة (***1941***م) بعنوان "**الأصوات اللغوية**" حيث دبّجه يقوله:" ..فلمّا كان العصر الحديث واتصلت ثقافتنا بثقافات أوروبا، ورأينا لعلماء اللغة فيها التجارب الصوتية التي يخيّل للناظر إليها أنّها نوع من السحر بدأ بعض أعضاء البعثات اللغوية يعنون بهذا الأمر، ويحاولون الانتفاع به في خدمة اللغة العربية [..] وكتابي هذا وإنْ كان الأوّل من نوعه في اللغة العربية ... وإنّما أعدّه مجهودًا أبغي به نشر طرف من هذه الثقافة اللغوية بين من يعنون بالبحث اللغوي في مصر.."[2] كما نشر العلامة عبد الرحمن الحاج صالح مقالاً مفصّلاً حول اللسانيات والسوسيرية بدءًا من ***1971***م،[3] بحس نقدي ممتاز ومنظومة اصطلاحية ثابتة وواضحة فضلا عن فهم مختلف الخلفيات العلمية التي انتهت إليه، وكان بعنوان "**مدخل إلى علم اللسان الحديث، تحليل ونقد لأهم مفاهيمه**

---

[1]- علي عبد الواحد وافي، **علم اللغة**. ط*9*، دار نهضة مصر، مصر، ***2004***م، ص*66*، وفي الهامش الأوّل من الصفحة ***68*** يشرح بأنّ هذا الكتاب من إعداد الطلبة الذين تابعوا محاضرات سوسير، ونشروه سنة ***1916***م، ويعّرف أيضا بأنطوان ميي ومارسيل كوهن. حيث نشر كتاب عبد الواحد وافي سنة ***1940*** بشهادته شخصيا، ينظر: الهامش رقم ***1*** ص***4*** أي مقدمة المؤلف.

[2]- إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، د–ط، مطبعة نهضة مصر، مصر، دت، ص*4* وبين معقوفين تمّ حذفه.

[3]- يشير عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه "**بحوث ودراسات في علوم اللسان**". ص7 الهامش (*1*) أنّ هذا الفصل هو مقال نشر في مجلة اللسانيات المجلّد الأوّل الصفحات من (*9* إلى *35*)، وليس هذا فقط! وإنّما تكون جامعة الجزائر أوّل جامعة تصدر مجلة دورية منظمة مخصصة للبحوث اللسانية الحديثة (**اللسانيات**–*AL-Lisaniyyat*) بدءًا من العدد الأوّل الذي نشر بتاريخ: *15* جوان *1971*م، وقد بلغت هذه السنة (*2023*م) نسبة (*0.1577*) في مقياس معامل التأثير ***facteur d'impact***.

ومناهجه" وبالعودة إلى الترجمات العربية فقد ترجم خمس مرّات بدءًا من ***1984*** إلى غاية ***1987***م، وهي:[1]

أ)- الترجمة السورية: بعنوان: "**محاضرات في الألسنية العامة**" مجيد النصر ويوسف غازي. *1984*م.

ب)- الترجمة المصرية: بعنوان: "**فصول في علم اللغة العام**" أحمد نعيم الكراعين، *1985*م.

ج)- الترجمة التونسية: بعنوان: "**دروس في الألسنية العامة**" محمد الشاوش ومحمد عجينة وصالح القرمادي *1985*م.

د)- الترجمة العراقية: بعنوان: "**علم اللغة العام**" يؤيل يوسف عزيز مراجعة يوسف المطلبي، *1985*م.

هـ)- الترجمة المغربية: بعنوان: "**محاضرات في علم اللسان العام**" عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي *1987*م.

حيث تنوعت الترجمات وتعدّدت وقدمت بأساليب مختلف للقارئ العربي، منها الترجمة التونسية والسورية والمغربية مباشرة من الأصل الفرنسي، بينما العراقية والمصرية عن الترجمتين الإنجليزية للمحاضرات.

خامسًا)- مسار الدرس اللساني العربي (اللسانيات العربية): ترتبط نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، بالجو العام الذي وسم الثقافة العربية أوائل القرن التاسع عشر بمحاولات نهضوية تتصدى للغزو الأجنبي في مختلف بلدانه، وقد عزم في مصر محمد علي (***1769-1849***م) على تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية، ونتيجة ذلك أن دخلت كثير من المعارف والعلوم الجديدة إلى حقل الثقافة العربية بعد أمد طويل من الانحطاط (***La décadence***) كالطبّ والرياضيات والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والحقوقية ...وغيرها،[2] حيث واكب دخول هذه المعارف إنشاء مدارس ومعاهد علمية مختصة، وتدعّمت بمطابع وإنشاء مجلاّت وجرائد يومية وهيأت المتاحف وطبعت الكتب.

وقد أحسّ العالم العربي بحجم تخلّفهم عن الركب الحضاري الذي يعيشونه، وأدركوا -تماما- حجم التحدّي الذي ينتظرهم ولم يبق لسان حالهم يبرّر ".. ما لتخلّفهم الراهن والتعلّيق على

[1]- ينظر: قبايلي عبد الغاني، **المطبوعة البيداغوجية في مادة "اللسانيات العامة"** المحاضرة الثانية، ص***24***

[2]- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**. ص7 بتصرّف

رجال الماضي كافة المآسي ويريحون ضمائرهم التي –هي– بريئة من التخلّف لأنّهم نتاج لقرون من التخلّف.."[1] وإنّما كرّسوا جهودًا –جبارة– لمواكبة مظاهر التطوّر ما أسهم في تنشيط حركة لغوية جديدة، ارتكزت –أساسًا– حول الترجمة والنقل وتعبئة الأجيال لتكون الأرضية التي ستنشط الحياة الفكرية والمعرفية والعلمية مستقبلا.

لقد كان لحركة الاستشراق[2] دورًا كبيرًا –أيضا– في تثبيت التقاليد الثقافية وفق المعايير الحضارة الإنسانية الحديثة المتخم بالعلوم والفنون والفلسفات الحديثة بناءً على مناهج ونظريات مستحدثة قصد تحفيزه ودفعه نحو الإبداع والابتكار وتحرير الذات من التخلّف والانعزال، وقد نقل حلمي خليل شهادة المستشرق الألماني برجشترايسر *Gotthelf Bergsträßer* (*1886/1933*م) الذي استفادت منه الجامعة المصرية سنة *1929*م، والذي طبّق مقولات ومبادئ المنهج التاريخي المقارن، حيث جمع محاضراته ونشرها في كتاب بعنوان "**التطور النحوي للغة العربية**" حيث ورد في مقدّمته "..إنّ الغرض من محاضراتي التي سألقيها عليكم هو درس اللسان العربي من الوجهة التاريخية أي من جهة نشأته وتكوينه وأصول حروفه وأبنيته وأشكال الجمل فيه والمتغيّرات التي وقعت فيه مع توالى الأزمان.."[3] حيث يعدّ هذا الكتاب من الأعمال الفيلولوجية الجادة التي طبّقت على النحو العربي،[4] والذي كان الشعلة في إنارة الطريق أمام

---

[1]- جمعان بن عبد الكريم، **التطور الأبستمولوجي للخطاب اللساني**، ط1، الفارابي النشر بيروت لبنان، 2010م. ص49 بتصرف

[2]- عادة ما ينظر إلى الاستشراق في الفترة المعاصرة على أنّها حركة مخاتلة تحاول زعزعة الاستقرار الفكري العربي والتشكيك في شخصيتهم التاريخية والنبذ التراث...الخ، ولكن في الحقيقة أنّ الاستشراق "في مرحلته الكلاسيكية" وبخاصة في شقه الألماني "مدرسة فرانكفورت" قد عرّفنا على كثير من المصادر التراثية التي لم يكن العرب يعرفونها، يقول فوزي البدوي: **نحن مدينون لهذا الاستشراق بالتعرف على كثير من النصوص الإسلامية والتراثية التي لم تكن نعرفها..**" ينظر الحوار كاملا على الموقع الآتي يوم *15 /02/2023*: *https://www.youtube.com/watch?v=zwMRBeAhq5c* حاوره الأستاذ نادر حمامي.

[3]- حلمي خليل، **العربية وعلم اللغة البنوي**، د–ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر 1992م. ص140

[4]- كان المستشرقون الألمان –خاصة– غلاةً جدًّا في تطبيق المناهج الفيلولوجية تقريبا على كافة النصوص، ومن النوادر التي تصف تطرفهم الفيلولوجي مثلما يقول المستشرق أوتو شبيس: **لو سألت أي مستشرق ألماني عن كلمة "عائشة" لأجابك على الفور بأنّها "اسم فاعل مؤنّث لفعل معتلّ العين"** ينظر: *https://www.youtube.com/watch?v=zwMRBeAhq5*

الباحثين والنقاد وستعرف هذه الحوزة العلمية فيما بعد تحت مسمى "**اللسانيات العربية**" والتي ستحمل على عاتقها كل الاشكالات المرتبطة باللسانيات من جهة والتراث من جهة أخرى فضلا عن مشاكل اللغة العربية.

هـ/أ)- رواد اللسانيات العربية: عندما نتصفّح المصادر الأساسية التي أرّخت لفترة البدايات اللسانية بالعالم العربي فإنّه سيلاحظ بأنّه لا يمكن أن يضع العالم العربي قاطبًا في خانة واحدة من التصنيف، لأنّه سيجد فرقًا منهجيًا عظيمًا بين المشرق والمغرب العربي؛

لقد كان الطلبة المبتعثين من المشرق والعائدين إلى مصر –تحديدًا– من خرّيجي الجامعات الإنجليزية والذين اكتسبوا ثقافة أنجلو–ساكسونية عميقة سمحت لهم بمعرفة اللسانيات التاريخية والمقارنة جنبًا إلى جنب مع المنهج الوصفي الذي يقوم عليه صلب اللسانيات العامة فكان من هؤلاء "..إبراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب وتمام حسّان وكمال بشر ومحمود السعران.."[1] وهؤلاء جميعًا تربّوا على الأطر المنهجية التي تلقوها في جامعة لندن أساسًا، ولمّا عادوا إلى مصر وجدوا الظروف مهيأة جدّا حيث[2] "..تأسّست الجامعة الأهلية في عام ***1908***م، فكان علم اللغة التاريخي المقارن للغات السامية من المواد الأساسية التي تدرّس بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بكلية الآداب في الجامعة المصرية، وكان المشرفون على تدريس علم اللغة المقارن أساتذةً من الألمانيين الذين هم أعلام الدراسات السامية المقارنة في ألمانيا الذين استدعتهم الجامعة للتدريس بها..". وبالتالي حظت مصر بجامعتين مرجعيتين الأولى هي جامعة القاهرة التي أكملت مسيرتها في تقديم التراث العربي وتشجيع البحوث فيه والذود عنه، والثانية هي الاسكندرية التي كانت تمثّل الدراسات والمناهج والنظريات الحداثية ونقل وترجمة الأعمال العلمية العالمية وتقديمها للقارئ العربي.

---

[1]- حسين السوداني، **أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، التلقي العربي للسانيات**. ص*54*

[2]- **المرجع السابق**، ص*53*

أمّا المغرب العربي فقد كانت شروطه مختلفة عن المشرق فقد تأخّرت فيه حركة البعثات العلمية إلى النصف الثاني من القرن الماضي؛ أيّ بعد استقلال دوله وحتى الطلبة الألمعيين الذين تدرجوا في المؤسسات التعليمية الاستعمارية فقد كانت وجهتهم -جميعًا- الجامعات الفرنسية "**السوربون La Sorbonne**" ومن محاسن الصدف أنّهم تلقوا اللسانيات العامة عبر مصادرها الأصلية، يقول حسين السوداني: "..يرتبط الوعي في المغرب العربي بأهمية البحث اللساني إلى مطلع العقد السادس من القرن العشرين، ويعود الفضل في ذلك إلى مجموعة من الروّاد الذين اطّلعوا على اللسانيات في الجامعات الفرنسية؛ فكان أحمد الأخضر غزال (*1918-2008*م) في المغرب، وعبد الرحمن الحاج صالح (*1927-2017*م) في الجزائر، وصالح القرمادي (*1933-1982*م)، في تونس المبشّرين الأوائل بهذا العلم.."[1] فكلّ هؤلاء الأعلام سواء المشارقة أم المغاربة سيكتب لهم أن يكونوا المرجعيات الكبرى التي ستجعل اللسانيات العربية على قدم مساواة مع اللسانيات العامة من خلال أعمالهم أو من خلال طلبتهم (الذين وافقوهم والذين عارضوهم) في الأجيال اللاحقة.

إنّ اللسانيات التاريخية والمقارنة والفيلولوجيا واللسانيات العربية بمختلف توجهاتها المنهجية قد عمّقت -جميعًا- وبطرائق مختلف ومناهج علمية متعدّدة ونظريات متراكمة معرفتنا بموضوع اللغة البشرية، حيث كشفت عن تغيّراتها الداخلية والخارجية وحصر وظائفها وخصائها وبنياتها، وقطعت مراحل طويلة -جدًّا- من التمرّس وصقل مقولاتها؛ حيث تفرّعت إلى علوم ومعارف -لا طائل إلى عدّها وحصرها- مثل: اللسانيات الجغرافيا واللهجية والنفسية والاجتماعية والجنائية والرياضية والعصبية والبيولوجية والمخبرية والتطبيقية والنصية والحاسوبية...الخ، ولم يعد نشاط الباحثين العرب ينحصر في الاغتراف منها وتطبيقها على اللغة العربية -فقط- وإنّما أصبحوا يفيدون اللسانيات بتجاربهم ويدعّمون بنظرياتهم مواطن الضعف في أطروحاتها، كما لم يعد النظر إلى التراث نظرة مزدرية بل أصبحوا يقدمون نتائجه ومناهجه ومقولاته للسانيات قصد الاستفادة منها وبالشكل المطلوب.

[1])- حسين السوداني، **أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، التلقي العربي للسانيات**. ص*55* نقلا عن: عبد السلام المسدّي، **ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية**، دط، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، ***1994***م ص*43*

الفَصْلُ الثَّانِي

بعنوان: تحليل كتاب اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة:

حفريات النشأة والتكوين.

ويتضمّن الفصل التطبيقي العناصر الآتية:

أوّلا)- التحليل البيبلوغرافي للكتاب:

أ/أ)- تحليل العنوان.

أ/ب)- تحليل صورة الغلاف.

ثانيا)- الدراسة الداخلية للكتاب:

ب/أ)- تحليل مقدمة الكتاب

ب/ب)- تحليل مضمون الكتاب:

ب/ب-أ)- تحليل الفصل الأول من الكتاب.

1)- **النشاط المعجمي اللغوي والعلمي**

2)- **النشاط الفلسفي اللغوي.**

ب/ب-ب)- تحليل الفصل الثاني من الكتاب:

1)- **جورجي زيدان**

2)- **القيمة العلمية لجورجي زيدان**

ب/ب-ج)- تحليل الفصل الثالث:

1)- **بحوث عن نشأة اللغة الإنسانية**

ب/ب-د)- تحليل الفصل من الرابع إلى السابع من الكتاب:

ب/ج)- تحليل خاتمة الكتاب

ثالثا)- قيمة كتاب مصطفى غلفان "اللسانيات في الثقافة العربية: حفريات النشأة والتكوين"

يعدّ كتاب "**اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**" من أهمّ الكتب والمصادر الأساسية التي حاولت –عن كثب- تفكيك الصّورة الكاملة لمرحلة النهضة، وتحليل معالمها وتصنيف الدراسات والمؤلّفات فيها، وشرح الآليات التي تمّت من خلالها نقل اللسانيات المقارنة والتاريخية إلى الثقافة اللسانية العربية، وتطبيق مناهجها على اللغة العربية، وتفسير وجهات النظر التي تكوّنت حول التلاقي اللساني (**العربي-غربي**)، وحصر المشاكل المنهجية والإبستيمية وحتى المعرفية والاجتماعية (الأيديولوجية)، وإعداد قائمة تاريخية بالأزمات التي كبحت التلاقي البراغماتي المناسب.

وما تجدر الإشارة إليه –من الوهلة الأولى- هو أنّ هذا الكتاب كان اقتباسًا[1] من بعض فصول أطروحة الدكتوراه* في اللسانيات العربية والمنشورة بدورها؛ تحت عنوان: "**اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية**" والتي تحمل رقم (***04***) من سلسلة رسائل كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة الحسن الثاني عن الشقّ، الدار البيضاء غرب المملكة المغربية، والتي ناقشها مصطفى غلفان في شهر ماي ***1991***م، تحت إشراف أحمد المتوكّل، وأمام اللجنة المتكوّنة من: التهامي الهاشمي الراجي، وعبد العالي الواد غيري، ومحمد لبيض، لأكثر من ***311*** صفحة، ثمّ لا يلبث المؤلّف يعيد نشر مادة الأطروحة في كتاب آخر طُبع سنة ***2013***م، مع تعميق أكثر في الطرح وباستخدام أفضل للمنهج الإبستيمولوجي تحت عنوان: " **اللسانيات العربية، أسئلة المنهج**"

أوّلاً)- معلومات بيبوغرافية للكتاب:

-أ-	العنوان الكامل للكتاب:	**اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين.**

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية**. ص*9*

*)- تجدر الإشارة إلاّ أنّ أطروحة الدكتوراه –المشار إليها أعلاه- هي الدكتوراه الثانية له، بينما الأولى؛ أي دكتوراه الطور الثالث كانت في **اللسانيات العامة**، من جامعة باريس *7* الفرنسية، والتي ناقشها سنة ***1980***م. (غير منشورة)

-ب-	المؤلف: مصطفى غلفان	
-ج-	دار ومكان النشر	**المطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب**
-د-	سنة النشر	**2006م، 1426 نسخة، ردمك: 1-7286-0-9954**
-ه-	الطبعة	**الطبعة الأولى، رقم الإيداع القانوني: 1774/2006**
-و-	عدد الصفحات والمقاس	**184 صفحة مقاس: 17 X 24 سم**
-ز-	عدد الفصول	**7 فصول، و77 مبحثا**
-ح-	عدد الاقتباسات	**513 اقتباسا**
-ط-	عدد المصادر والمراجع	**تم استعمال 204 مصدرا منه 162 مرجعا عربيا بنسبة 68.04%، و42 مرجعا أجنبيا بنسبة: 31.96%**
-ك-	صورة الغلاف	

أ/أ)- تحليل العنوان: عنوان الكتاب -إذاً- اعتمادًا على مقولة "**الفصل والوصل**" عند تفكيكه، هو "**اللسانيات، في الثقافة العربية الحديث، حفريات النشأة والتكوين**" وهو واحد من العتبات النصية (المباشرة بصريًا)، وأوّل ما يستفزّ القارئ ويجذبه أو يبعده، وهو متكوّن من ثمانية ملفوظات منها سبعُ أسماء وحرف للجرّ وآخر للعطف، حيث إنّ الأسماء كلّها معرّفة بالألف واللاّم ما عدا "**حفريات**" المعرّفة بالإضافة، ينقسم إلى ثلاث جمل؛ منها اثنتان اسميتان "**اللسانيات**" و"**حفريات النشأة والتكوين**" وواحدة شبه جملة "**في الثقافة اللسانية العربية الحديثة**" والتي تؤدّي المعنى الفرعي للثّابت المركزي للجملة الأولى من مبدأ وخبر "**اللسانيات**"، والجملة الأخيرة التي تمثّل المتغيّر "**حفريات النشأة والتكوين**" وبذلك يعني تأوّلاً لغويًا أحد المعنيين:

- ميلاد اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة؛ حفريات النشأة والتكوين.

- تجلّيات اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة؛ نتائج حفريات النشأة والتكوين.

وبعرض العنوان على وظائف كلّ من: جيرار جونيت-*G. Genette* (*2018/1930*م) ورومان ياكبسون *R.Jacobson* يتبيّن بأنّ مصطفى غلفان قد اختار لمؤلّفه عنوانًا يؤدّي وظيفةً **تعيينية**، أو ما يسميه الناقد السوري (خالد حسين حسين) الوظيفة **الأنطولوجية**،[1]وهذه الوظيفة تمثّل نوعية العلاقة الترابطية بين العنوان والنص؛ أيّ ما يجعل للنصّ هويّة محدّدة، وهويته في الاختلاف والتمييز عن باقي الكتب والمؤلفات التي تتناول الموضوع نفسه، فلو قال المؤلف: "اللسانيات، أو اللسانيات العربية، أو الثقافة اللسانية العربية، أو الخطاب اللساني العربي الحديث، أو نشأة اللسانيات في الثقافة العربية..." لفَقَدَ الكتابُ تميّزه واختلافه، وبالتالي هويته وانفراده، حيث نجد المئات من الكتب بهذه العناوين -بما في ذلك- كتب مصطفى غلفان اللاحقة -حينها- ستتغيّر وظيفته وتصبح إغرائيةً أو تأثيريةً وسيتحوّل الكتاب إلى عقد مفاوضات تجارية بين النص والقارئ، **فالعنوان هو اللغز الذي يربِك المؤلفين، والسرّ الذي يسحر القارئ.**

أ/أ)- تحليل صورة الغلاف: لكلّ كتاب غلاف، وفي كلّ غلاف صورة وأحرف (*Graphèmes*) فالصورة ترتبط مباشرة بالمجال الإدراكي الحسي للمتلقي، وتشكّل ثقافة بصرية ذات تأثير معرفي وعاطفي وأنثروبولوجي عميق في الإدراك، حيث تتركّب واجهة كتابنا -محلّ الدراسة- من مزج لوني ومعلومات حول المؤلّف والعنوان ودار النشر، وصورة فنية تشكيلية[2] وقد توزّعت -هذه- الآليات أفقيًا وعموديًا وعمقًا (البعد الثالث)، على النحو الآتي: على المستوى الأفقي أعلى الصفحة من جهة اليمين اسم المؤلّف باللون الأصفر الفاتح المثخن، (مقاس *20*) ومن اليسار التصنيف البيبلوغرافي للكتاب "المكتبة الأدبية" باللون الأزرق وبالخطّ الأندلسي المثخن (مقاس *20*)، ثمّ شريط ممزوج الألوان ساطع وتحته عنوان الكتاب بالخطّ العربي اليسير

[1])- ينظر: أحمد شحوري، **وظائف العنوان النصي**، مقال منشور على المجلة الالكترونية "المعرفة" يوم: *7* أفريل *2022*م على الرابط الآتي: ***http://www.almaarifa.org/index.php/fr/literature/16-2022*** المطّلع عليه يوم: *17* جانفي *2023*م.

[2])- الصورة مأخوذة من الفنّ التشكيلي المغربي (الجيل الثاني) من كتاب ***Regard sur la peinture contemporaine au Maroc*** للمؤلف ألان فلامان ***Alain flamand*** ص*190*

[*simplified Arabic*] مقاس (*28*) مثخن باللون البنّي، ولا يختلف عنه العنوان الفرعي إلاّ في المقاس (*24*)، ويتوسّط الغلاف لوحة فنّية تشكيلية بالألوان الزيتية بخلفية زرقاء فاتح مكوّنة من خمس لوحات داخلية، ثمّ أسفل وسط الغلاف؛ دار النشر وأيقونتها ومكان النشر.

أمّا عموديًا فالواجهة تتشكّل من عمودين باللون البني المزجي المكثّف من ناحيتي أقصى اليمين وأقصى اليسار، يتوسّطهما عمود باللون الأخضر الفاتح جدًّا، أمّا العمق فهي لوحة تشكيلية من الفنّ المغربي الحديث تتضمّن خمس لوحات فرعية موزّعة عموديًا من ثلاثة لوحات فوق بعضها بعض جهة اليمين ولوحتين جهة اليسار، عليها رموز وكتابات، فاللوحة الأولى تمثّل آية قرآنية من آل عمران مشكلة بالنقط (لا بالحركات) باللونين الأحمر والأسود بالرسم العثماني على طريقة المغاربة، نصّها، قَالَ تَعَالَى:﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ ١٦٠﴾ [آل عمران: **160**]، حيث تذكّرنا هذه الآية الكريمة بالدولة الموحدية وبساكنة الأندلس الذين كانوا يكتبونها في البيوت والأزقة أثناء حروبها وسقوطها.

أمّا اللوحتان؛ ثانية والثالثة فتحتوي على رموز وطلاسم ذات أصل إفريقي تعود كلّها إلى فترة ما قبل التاريخ انبثقت أوّل مرّة من الطاسيلي ناجر بالجزائر، وكتابة هيروغليفية ذات أصل أمازيغي (شلحي)، واللوحة موقّعة من طرف الملاح، حيث أحسن غلفان اختيار هذه الصورة لاحتوائها على القديم جدًّا للدلالة على الحفر، والعربي الأندلسي للدلالة على الثقافة، والأمازيغي (الشلحي الأطلسي) والزخرفات المأخوذة من التراث الإفريقي للدلالة على المكان، فقد جمع في لوحة واحدة المشرق والمغرب وأوروبا ممثّلة في الأندلس، وهذه هي الأماكن التي بدأ فيها الوعي والحضارة البشرية في التشكّل، ثمّ توسع إلى كافة أنحاء العالم.

ومن جهة أخرى، فإنّ هذه الواجهة تتناسب –تمامًا– مع محتوى الكتاب الذي سيأخذ على عاتقه تحليل لحظة التقاء العالمين (العربي/ الغربي) أثناء عصر النهضة، حيث ميّزته آليتي النقل والترجمة لمختلف المضامين اللسانية على النحو الذي نجده في الجزء الأوّل من الكتاب

وفي جزئه الثاني سيقوم بتشخيص المسوغات المباشرة والخفية لامتناع قيام درس لساني عربي أصيل في الفترة الحديثة والمعاصرة.

ثانيًا)- **الدراسة الداخلية للكتاب:** يقوم كتاب مصطفى غلفان –ككلّ الكتب– على مقدّمة في ثلاث صفحات، وعرض في مائة واثنين وستين صفحةً، وخاتمة في صفحة واحدة، ثمّ قائمة المصادر والمراجع في إحدى عشرة صفحةً، وفهرس للمحتويات في ثلاث صفحات.

ب-أ)- تحليل مقدمة الكتاب: يعبّر مصطفى غلفان بأنّ كتابه –هذا– يفترض أن يكون أوّل كُتبه التي نشرها –من ذي قبل– وفي ذلك إشارة إلى كتابه الأوّل بعنوان "اللسانيات العربية الحديثة؛ دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية" وذلك بسبب أنّ الكتاب –محلّ الدراسة– يتناول قضية "تشكّل وتكوين الخطاب اللساني العربي الحديث" وهي القضية الأسبق تاريخيًا من البحث عن مصادر اللسانيات العربية، وهي رؤيتان تجمعهما منهجية واحدة، وهو قياس مدى "تأثير اللسانيات العامة في الدرس اللساني العربي"،[1] وسرعان ما يكشف –غلفان– بأنّ المنهج التاريخي والمقارن في العالم العربي يشوبه نقصانٌ في عدم استيعاب آلياته، وهو الأمر الذي يتطلّب تحليله من خلال ربطه بمشروع أكبر وهو النهضة، حيث وفّرت هذه المرحلة فرصًا ثمينة في مجالات كثيرة ولكنّها ضاعت بسبب عدم استغلالها استغلالا موفّقًا، حيث مازال يلقي بضلاله على الدرس اللساني، حيث فضّل الوقوف على حافة العلاقة بينهم وبين أعمال علمية عميقة غرس بذوره في مرحلة النهضة، وعند أصحاب المشاريع الحقيقية والواعدة، أمثال: ".. جورجي زيدان والكرملي وجبر ضومط والعلايلي ممّن لم يُلتفت بكل جدّية لما قدّموا من أعمال لغوية سبقت عصرها بكل تأكيد.."[2] وكانت النتيجة المنطقية للاختلالات المنهجية والتردّد المعرفي أنّ الدرس اللساني العربي القائم –الآن– غير واضح المعالم، وليس له ميزات منهجية ونظرية ويفتقر إلى برنامج علمي وتنعدم آفاقه تمامًا.

1)- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين**، –مقدّمة المؤلف ص4

2)- **المصدر نفسه**، ص5

ب-ب)- تحليل مضمون الكتاب: ينطلق الكتاب في محاولة فهمه لعدم تأسّس -بعد- لثقافة المساءلة المستمرّ ومراجعة الذات لما يتمّ القيام به من نقل وترجمة وتحليل للأفكار العلمية وتوطينها في العالم العربي ثمّ الإبداع والمشاركة في الحضارة الإنسانية المعاصرة سيخصّص سبعة فصول كاملة تنطلق من حصر الجهود اللغوية في عصر النهضة وصولا إلى اللسانيات العربية، عبر جسر تشكّل من البحث عن الارهاصات المنهجية للسانيات التاريخية والمقارنة وتحديد موضوعات تحليلات اللغة العربية ثمّ تفكيك الخطاب اللّغوي الاستشراقي وقياس النشاط المعجمي، ثمّ محاولات نقل اللسانيات العامة، وهو ترتيب مقبول جدًّا غير أنّ مصطفى غلفان قد ختم الفصل السابع بالعنوان نفسه الذي صاغه للكتاب ككلّ، وهذا من الناحية المنهجية فيه نظر فبالرغم من أنّ -غلفان- قد خالف بين الفصل السابع والكتاب من حيث المضامين يجعل أحدهما خاطئًا؛ إمّا أنّ منهجية الكتاب لا تستقيم بحشوها بكلّ الفصول المحمولة على غاياتها، أو أنّ الفصل الأخير يجب أن ينتمي إلى كتاب آخر، فالقارئ يقع في هذا الاضطراب ويجبر على قراءة هذا الفصل ليدرك بأنّه يمثّل حصرًا للنتائج التي توصّلت إليه الفصول السابقة، وفيما يلي تحليل لأهمّ فصول الكتاب..

ب-ب/أ)- تحليل الفصل الأول من الكتاب: والذي جاء بعنوان "الجهود اللغوية في عصر النهضة" ويتكون من (*31* صفحة) عالج فيها المظهر الأكثر بروزًا في بداية النهضة العربية في زمن "**محمد علي باشا**" الذي وصل إلى سدّة الحكم ما بين (*1805/1849*م)، ومؤسس مصر الحديثة وهما: **النقل والترجمة**، حيث سمحت هاتان الحركتان بدخول علوم -من جديد- ".. كالطب والطبيعيات والرياضيات والعلوم الاجتماعية والاقتصادية والحقوقية.."[1] حيث دعمّ -هذه الحركات- وسمح بـــ".. دخول المعارف وإنشاء المدارس والمعاهد العلمية المختصّة في مجالات المعرفة المتعدّدة، كما جيء بالمطابع وأنشئت المجلّات والصحف وطُبعت الكتب.."[2]

[1]- جورجي زيدان، **تاريخ الأدب العربي**، تح: شوقي ضيف، دط، دار الهلال، القاهرة -مصر، ج*4*/ص*164* نقلا عن مصطفى غلفان المصدر نفسه، ص7

[2]- **المصدر نفسه**، ص ن.

وبالتالي فقد انطلقت الشرارة الحضارية من "**مصر**" ونشأت معها حركة لغوية –نشطة جدًّا– تمحورت حول الترجمة إلى اللغة العربية وإيجاد المصطلح العربي الملائم والأنسب، وإعداد اللغة العربية لتخاطب العالم من خلال تطوير منظومتها المعجمية وتطعيمها بمنظومة اصطلاحية قادرة على مواجهة التدفّق العلمي الحديث.

فإذا كان –مصطفى غلفان– قد خصّص مصر بالوصف وتبيان مظاهر النهضة، فإنّ ذلك يعود إلى أنّ سائر بلدان العرب وديار الإسلام، حينها مختلف تمامًا عنها –باستثناء لبنان– إلى حدّ ما، فقد وصف سعد الأفغاني دمشق التي كانت حاضرة العلم وقلعة الأدب والفنّ والسياسة قائلا: "..أصبحتَ تستطيع أن تَعُدَّ في دمشق –مثلا– في مطلع المائة الرابعة عشر للهجرة، مائة أو أكثر ممّن يحفظ المتون في النحو والصرف وعلوم البلاغة والحديث والتفسير واللغة، ثمّ لا يستطيع أحدهم أنْ يكتب سطرين مفيدين واضحين سليمين من الأغلاط والركّة، هذا شأن العلماء! أمّا سواهم فيكفي أن رسالةً يأتي بها البريد إلى أحد الناس فيدور بها على أهل حيه ثمّ على الحي المجاور، فلا يجد أحدًا يفكّ رموزها ينبئه بمضمونها.."[1] وهذا الوصف كان ينطبق –في الحقيقة– على أغلب البلدان العربية في المشرق والمغرب معًا، ولمّا كان العلم شديد الارتباط بالأوضاع الاجتماعية والسياسية ووثيق الصلة بالاستقرار السياسي والازدهار التجاري فقد سكن العقل وجَمُد الفكر تماما، يقول أحمد خليل ".. إنّ المعارف والعلوم لا تعدّ بنيات مستقلّة وشخصية، إنّما كنشاطات اجتماعية مرتبطة بنشاطات اجتماعية أخرى، كالازدهار الاقتصادي والتعليم واستقرار المؤسسات والنظم القانونية والأخلاقية والتجارية، وهذا ما لم يكن متوفّرًا لأكثر من عشرة قرون في العالم العربي.."[2] ويحتاج عقل انسحب من الوعي الجمعي ومن العلاقات الفكرية وأصبح خارج التاريخ إلى معجزة تقريبًا ليتم تنشيطه مجدّدًا.

---

[1]- سعيد الأفغاني، **من حاضر اللغة العربية في الشام**، ط*2*، دار الفكر، بيروت لبنان،*1971*م، ص*19* نقلا عن مصطفى غلفان **المصدر نفسه** ، ص*11*

[2]- خليل أحمد خليل، **التراث العربي**: **من التراب إلى ناطحات السحاب**. ط*1*، المركز الثقافي العربي، بيروت *2009*م، ص*155*–*156*.

أمّا **لبنان** فقد كان حظّه أحسن بكثير من غيره إلى جانب مصر، حيث كان في طليعة البلدان العربية المستقلّة، وكذلك إلى تكوينة المجتمع المتميزة؛ حيث يتوفّر على تعدّد لغوي وثقافي وعرقي وديني، وكانوا كثيري الهجرة إلى المشرق والمغرب العربيين، وكذلك إلى مختلف البلدان الأوروبية، وقد نقل –غلفان شهادة أمين نحلة تصف الحركة الفكرية والاجتماعية قائلا: "..فالكلام على ما كان من أمر اللغة في لبنان التي ظهرت فيها المقالات والتآليف اللغوية في المعاجم والنحو واللغة وتصحيح الأخطاء اللغوية الشائعة والمباحث الفلسفية العامة في نشأة اللغة وأصلها، لا يجوز أن يقصر على اللبنانيين الذين صنعوا في العربية تحت سمائه، فإنّما المسألة بينهم وبين إخوانهم الذين صنعوا تحت السماء المصرية مسألة مناصفة تردّ جملتها في تأريخ اللغة إلى الحصة اللبنانية.."[1] وبالتالي فإنّنا لا نستغرب اليوم العدد الهائل من الكتب والمجلاّت والدوائر المعرفية والجرائد التي تصدر إلى العالم أجمع من لبنان، أمّا مظاهر الإبداع حينها فيمكن تلخيصها في:

ب/ب-أ-أ)- النشاط المعجمي و اللغوي والعلمي: الذي سهّل على الأدباء والعلماء والمعلّمين والقارئ العادي استعمال اللغة العربية في مختلف فنون العلم، وقد اشتهر حينها كلّ من فارس أحمد الشدياق (*1874/1804*م)، مؤلّف "**الواسطة في معرفة أحوال مالطة**" وكتابه الشهير "**كشف المخبا عن فنون أوروبا**" وبطرس البستاني (*1833/1819*م) مؤلّف الموسوعة الشهيرة "**دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب**" ومعجم "**محيط المحيط**" وسعيد بن عبد الله الشرتوني (*1912/1849*م) مؤلّف معجم "**أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد**" ولويس معلوف (*1947/1867*م) مؤلّف معجم "**المنجد، معجم مدرسي للغة العربية**"، وجرجس هُمام (*1921/1856*م) مؤلّف معجم "**معجم الطالب في المأنوس من متن اللغة العربية، والاصطلاحات العلمية والعصرية**" وعبد الله البستاني (*1930/1854*م) مؤلّف معجم "**البستان**" ومعجم "**فاكهة البستان**"

---

[1])- أمين نخلة، **الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الأول من القرن العشرين**، ط*2*، مطبعة دار الكتب، بيروت لبنان *1947*م ص*15*، نقلا عن مصطفى غلفان، **المصدر نفسه**، ص*11*

وأحمد رضا (*1953/1872*م) صاحب معجم "**متن اللغة العربية**" وبالتالي فإنّ اللغة العربية الحديثة أو الفصحى الحديثة أو اللغة العربية العلمية قد بدأت من لبنان وعلى أيدي علمائها الذين كانوا من المسلمين وأغلبهم من المسيحيين، غير أنّهم جمعتهم مسألة عاطفية تتمثّل في غيرتهم وحبهم للغة العربية ومسألة حضارية وهو رفع الغبن عنها، فصنعوا الأعاجيب.

ب/ب-أ-ب)-النشاط الفلسفي اللغوي: فإلى اللبنانيين يعود فَضْلُ السَبْقِ في مسألة أصل اللغة العربية وكيفية نشأتها وتطوّر بنية الكلمة فيها وعلاقتها بأخواتها السامية،[1] ومن أهم مؤلفي هذا المجال فضلا عن الشدياق جبر ضومط (*1930/1859*م) مؤلّف كتاب "**فلسفة البلاغة** *1898*م" و"**فك التقليد في علم الصرف على أسلوب جديد** *1908*م" وإبراهيم اليازجي أستاذ الشدياق وأحمد رضا (*1847/ 1906*م) مؤسس **جريدة النجاح** *1872*م، **ومجلة ضياء** في القاهرة سنة *1898*م، ومارون غصن (*1940/1880*م)، صاحب "**الغصن الرطيب**" و"**الملك هراقل**" ومن جميل الصدف أن هذه المرحلة صاحبها ظهور أعمال "فرانز بوب" ومن سار على نهجه –ممّن ذكرناهم في الفصل الأوّل– من شليجل وشلايشر وشميدت ومولر وينان، في اللسانيات المقارنة والبحث عن أصل اللغات، لتتناسب –تماما– مع البحوث الفلسفية اللغوية التي عكف على دراستها عَدَدٌ عَدِيْدٌ من اللغويين في لبنان، وقد جعل هؤلاء اللغة العربية من اللغات الأولى التي تُرجم إليها كتاب داروين (*On the Origin of Species by Means of Natural Selection 1859*م) سنة **1910**م تحت عنوان (**أصل الأنواع**) التي قام بها شبيلي شميل (*1917/1860*م) وزملاؤه، على إسهابه وصعوبة فهمه حتى عند الأوروبيين أنفسهم، كما شهدت هذه المرحلة –أيضا– ميلاد أوّل كتاب لساني تاريخي في اللغة العربية، بعنوان "**علم الفلسفة اللغوية**" سنة *1886*م، لجورجي زيدان (*1914/1861*م) حيث يقول غلفان "..وظهر أوّل كتاب سنة *1886*م في بيروت لمؤلف جورجي زيدان وهو بحث تحليلي في أصل اللغة العربية وكيف تكوّنت بالتدريج، وظهر له بعد ذلك كتاب تاريخ اللغة العربية سنة **1904**م، ومداره النظر في اللغة العربية باعتبارها كائنًا حيًّا قابلا

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين**، ص*14*

للارتقاء بالنمو والدثور.."[1] ولم يتوقف عند هذا الحدّ –فقط– وإنّما بدأ يبحث في اللغة الأم وكأن مشروعه بالموازاة مع المشروع الشلايشري في إعادة بناء اللغة الأم للغات الهندو–أوروبية أراد زيدان أن يعيد بناء اللغة العربو–السامية *Arabo-sématique* الأم للغات العربية وأخواتها.

وبالعودة إلى مصر نجد رفاعة رافع الطهطاوي (*1801/1873*م) من الجيل الأوّل للأعلام النهضويين في مصر الذي نقل الحياة الأوروبية –فرنسا تحديدًا– في كتاب أشبه ما يكون بفلم سينماتوغرافي مصغر، أو ربورتاج وثائقي لأشهر مدينة في عصره، بعنوان "**تلخيص الإبريز في تلخيص باريس**" سنة *1834*م، الذي حقّقه محمود فهمي حجازي، وبعده كتاب "**التحفة المكتبية في تقريب العربية**" سنة *1869*م والذي حقّقه البدراوي زهران، يقول غلفان ".. ويقدّم الطهطاوي فيه فكرة عامة عمّا وصل إليه البحث اللّغوي في فرنسا سواءً بالنسبة لدراسة اللغة الفرنسية أم بالنسبة للغة العربية على يد سيلفيستر دو ساسي وكوزان برسفال.."[2] حيث يمكن تلخيص جهوده في التعريب والترجمة وتيسير النحو العربي والتفسير طبيعة اللغة.

ب-ب/ب)- تحليل الفصل الثاني من الكتاب: والذي جاء بعنوان "إرهاصات المنهج التاريخي–المقارن في البحث اللّغوي العربي الحديث" ويتكوّن من (*34* صفحة) عالج فيها أعمال جورجي زيدان وأنستاس ماري الكرملي، الأوّل من خلال جهوده في إرساء دعائم المنهج التاريخي والمقارن والفيلولوجية على اللغة العربية، والثاني في تباحث مسائل تناظر اللغة العربية مع الإغريقية واللاتينية، وفيما يلي، أهم ما نادا إليه في زمنهم:

ب-ب/ب-أ)- جورجي زيدان: يؤرّخ –مصطفى غلفان– لجورجي زيدان على أنّه أوّل وأعظم المقارنين والتاريخيين العرب. بل وكأنّه من طينة شلايشر وشليجل وأوستهوف..الخ، فهو رائد الجيل الأوّل في تطبيق المنهج اللساني التاريخي والمقارن والفيلولوجيا على اللغة العربية بدءًا من كتابيه "**الفلسفة اللغوية**" و"**تاريخ اللغة العربية**" حيث تعمّق في أصل الكلمات العربية، وقد

---

1)– مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين** ، ص*15*

2)– **المصدر نفسه**. ص*22*

انتهى في ذلك إلى "..تقسيم اللغات باعتبار دراجات تهذيبها إلى مرتقية وغير مرتقية محدّدًا سمات كلّ منها، كما قدّم فكرة عامة عن تقسيم اللغات إلى طائفتين عظيمتين؛ الطائفة الآرية أو الهندو-أوروبية، محدّدًا صفاتها المميّزة في كونها مؤلّفة من أصول قابلة التصريف إدراجًا وأنّ الاشتقاق فيها يقوم بإضافة أدوات معظمها ذات معنى في نفسها، وهذه الأدوات تحلّق غالبًا في آخر الأصل وأحيانًا في أوّله.."[1] وهذا التصنيف الذي له دلالة قطعية على اطلاع صاحبه بأعمال والبحوث التي طوّرها الفيلولوجيون وفهمه العميق والجيّد لفرضياتهم، كما تبيّنه مواقفه تّجاه اللغة العربية على أنّها "**كائن حي**" على نظرية أوجيست شلايشر، حتى إنّ غلفان قد نقل قول زيدان، الآتي: ".. سيشفع هذا الكتب-الفلسفة اللغوية- بكتاب آخر في تاريخ اللغة العربية باعتبارها أنّها كائن حيّ خاضع لناموس الارتقاء العام نقصر الكلام فيه على ما لحق اللغة من التنوّع والتفرّع والنمو والارتقاء في ألفاظها وتراكيبها بعد أن تمّ تكوينها وصارت ذات قواعد وروابط.."[2] وفي هذا التحليل لمستويات اللغة نجد أنّه يمتثل لمواقف العالم الألماني شليجل، وهو حوار منهجي قريب من زمن طرحه، كما كان لزيدان الفضل في الجمع بين المنهج المقارن والتاريخي والفيلولوجي، وهو -الأمر- الذي لم يتمّ في أوروبا نفسها إلاّ مؤخّرًا، يقول غلفان: ".. ومعلوم أنّ المنهج التاريخي لم يظهر إلاّ سنة ***1875*** مع جماعة لايبزينخ Leipzig ؛ مع هرمان باول وكارل أوستهوف وبركلمان.. وغيرهم ممّن عُرفوا بالنحاة الجدد.."[3] ثمّ يقوم المصنّف -غلفان- بتفكيك المصادر والمراجع المعرفية التي ينطلق منها زيدان في تحليلاته؛ أي يحفر في عمق ثقافته، لينتهي إلى أنّ "..القراءة المتأنية لكتابي جورجي زيدان في ضوء الأدبيات اللغوية للقرن التاسع عشر تُبَيّن بوضوح اطلاعه على أمّات الدراسات اللغوية في الغرب، كأعمال أرنيست رينان (*1823/1882*م)، وماكس مولر (*1823/1900*م)، ووليام وايتني (*1827/1894*م) ودار مستتار (*1848/1888*م) ومشال بريال (*1832/1915*م) التي تشكّل النواة

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**. ص*36*

[2]- **المصدر نفسه**، ص*37*

[3]- **المصدر نفسه**، ص*47*

الأساس كما يتضمّنه كتابي زيدان.."[1] وهذا ما يجعل من جورجي زيدان اللساني الأوّل في الفترة المعاصرة الذي أدخل إشكالات جديدة إلى اللغة العربية، وحاول تفسيرها وتبريرها بعد تحليلها وبالآليات والتقنيات الجديدة المكتنزة في المنهج التاريخي المقارن والفيلولوجيا.

ب-ب/ب-ب)- القيمة العلمية لأعمال جورجي زيدان: يعدّ جورجي زيدان –بحقّ– من رواد النهضة الفكرية العربية –دون منازع– والذي سيذكره التاريخ –دومًا– بغزارة التأليف، وتعدّد الأقلام، والموسوعة الحديثة التي سعى بها إلى تكوين نخبة وثقافة حقيقيين في المجتمع العربي –ففضلا– على نقله للمنهج التاريخي والمقارنة والفيلولوجي إلى الثقافة العربية باقتدار وتمكّن مع السبق التاريخي لأفكار تقدّمية، فقد حاول تنوير العقول بنصوص تأتي في السياق التاريخي الموضوعي المتجاوز للسرديات التقليدية المتهالكة، حيث أهدى القارئ العربي أكثر من (*39* كتابًا) في مختلِف أجناس الكتابة (لسانيات، أدب، تاريخ، تراجم، علم الفراسة الحديثة..الخ) والتي اشتغل فيها –دون كلل أو ملل– لمحاربة الجهل والأمية الحديثة عن مجتمعه، ومع ذلك فإنّ القراءة الأيديولوجية والتشكّكية والمبتورة التي أحاطت بنقد أعماله الجليلة قد حجبته ردحا من الزمن عن المثقفين العرب، حيث أسهمت القراءات الانتقائية من ازدراء أعماله وغمرها في قاع صفصف من الثقافة العربية الحديثة، الأمر الذي سمح –مثلا– لصبحي الصالح، تقديمه للقارئ العربي على هيئة رجل (حَشَوِيٍّ– ***tautologue***) سطحي الطرح قليل العلم والمعرفة جاهل بأساسات اللسانيات المقارنة وبالتاريخ العربي والإسلامي، أو على أنّه نسخة مشوّهة عن الحركة الاستشراقية التي تهدف إلى إدخال الشكّ والريبة إلى العقل العربي،* يقول "..إنّه [زيدان] كان سبّاقًا إلى إدخال الضَيَّمِ [الظلم والإذلال] على العربية واستعجاله المقارنة بينها وبين اللغات الحيّة في كتابه –الفلسفة اللغوية، والألفاظ العربية– وقد كان فيه عيب أقبح يتمثّل

---

[1])- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين** ، ص *47*

*)- يعاني العقل العربي المعاصرة عقدة معرفية تجاه النصوص التي قدّمها المستشرقون؛ حيث تعلوها دوما نظرة الازدراء والتخوّف والشكّ، وذلك بتصنيفه تجاها فكريا استعماريًا، بل ويعدّ الحديث عنه في بعض الدوائر المعرفية "قلّة حياء وعمالة أجنبية" طبعًا الأمر ليس كذلك، وإنّما هذه النظرة تخفي في عمقها تجنّبًا واضحًا للبث فيها وتصنيفها ونقدها.

في سطحية علمه بهذه الأمور، وفي تطفّله على ميدان اللغة كما كان في أكثر الميادين.."[1] حيث وردت هذه الأحكام –وأحكام أخرى أكثر قسوة– في كتابه "**دراسات في فقه اللغة**" والذي نشره أوّل مرّة في ***1960***م، وما فات –صبحي– ولم ينتبه له، أنّه حتى عام نشره له لم يقدّم أي لساني عربي دراسة وافية كافية في اللسانيات العربية التاريخية، الأمر الذي يجعل نقده معيارًا موجّها لجورجي زيدان* وليس للقضايا اللسانية التي انتهت إلى زمانه.

ب/ب-ج)- تحليل الفصل الثالث من الكتاب: والذي جاء بعنوان "نحو رؤية ارتقائية للغة العربية" ويتكوّن من (*25* صفحة)، حيث عالج فيه مصطفى غلفان التجربة العربية الحديثة في تطبيق المنهج التاريخي على اللغة العربية، ويمكن حصر نقاط التماس في المحاور الآتية:[2]

1)–نشأة اللغة العربية وتطوّرها في التكوين عبر مراحل وأدوار.

2)– الأصل الثنائي للكلمات العربية.

3)– تطوّر دلالة المفردات والأساليب العربية عبر العصور المختلفة.

4)– تطوّر اللهجات العربية قديمها وحديثها وعلاقتها باللغات السامية، وبالعربية الفصحى.

حيث سيقوم مصطفى غلفان باجتراح تجربة –كانت واعدة– في زمانه قبل أن يتمّ ردمها وجزّها من المكتبات العربية ومن الخطاب العلمي المعاصر، والتي كان من المفيد جدًّا استغلالها واستثمار نتائجها على النحو الذي نجده عند اللسانيين الغربيين من الاستفادة من كلّ

---

1)– صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**. دط، دار العلم للملايين، ***196***م، ص***11***. نقلا عن: مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**. ص*21*

*)– عندما نطلّع على بعض الكتابات النقدية المرتبطة بـ"**جورجي زيدان**" وبغيره ممّن يتساوقون معه –وهو ما قامت به في هذا البحث قصد التأكد– فإنّنا سرعان ما نجد أنفسنا أمام التأصيل الديني للرجل لا أمام أفكاره ورؤاه وتعدّد لغاته "**العبرية والسريانية والفرنسية والإنجليزية**، والعبقري: "**الناقل والمترجم والناقد والمحلل**"، وتخلص في الأخيرة وكأنك تسمعهم يقولون على لهجة المصريين "**أيها الأجنبي ما ليكش دعوة بتاريخنا الإسلامي وبلغتنا العربية**" ولكن على رأي المثل الشهير: **يبقى المفكرون وينسى النقاد**".

2)– **المصدر نفسه**، ص*65*

البحوث المقترحة، وهي تجربة "**عبد الله العلايلي**"* (*1914/1996*م) في كتابه "مقدمة لدرس لغة العرب أو كيف نصنع المعجم الجديد" المنشور لأوّل مرة بمصر سنة *1938*م، والذي يلخّص فيه – بحقّ– عبقرية العقل العربي ولغته في تمثّل المناهج اللسانية المستحدثة في أوروبا، يقول مصطفى غلفان: "..إنّ الموضوعات التي تناولها اللسانيون العرب لم تكن بعيدةً في جوهرها عن القضايا التي تناولها المنهج اللّغوي التاريخي في أوروبا خلال النصف الثّاني من القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين.. "[1] حيث كنّا قريبين جدًّا –آنذاك– إلى المنافسة الإبستمولوجية مع الغرب وبدأت الهوة بين العالمين تتحصر، حيث بدأت بحوث حقيقة تظهر على النحو الآتي:

ب/ب-ج/أ)- بحوث حول نشأة اللغة ومراحل ارتقائها: [2] بعدما أرسى جورجي زيدان وأنستاس الكرملي وجبر ضومط (وهم زعماء سدنة الجيل الأوّل من المقارنين)، دعائم المقارنة والمنهج التاريخي، جاء عبد الله العلايلي (ليتربّع على رأس الجيل الثاني) ليضع اللمسات الأخيرة بدقّة

---

*)- بعيدًا عن موضوعية البحث والالتزام بالشروط المنهجية له، كان "**عبد الله العلايلي**" أحسن اكتشاف لي، وحيث إنّ القراءة المحايثة لهذه القامة العلمية الشامخة التي حاول –غلفان– تحليل تجربته **وقد أحسن في ذلك كثيرا**، جعلني أكتشف أعظم شخصية عربية في القرن الماضي، بل أعظم أستاذ للغة العربية في القرن العشرين دون منازع، والملقّب بـــ"**فرقد الضاد**" له أكثر من *29* كتابًا ومعجمين و*850* مقالا منشورًا، ومع ذلك فإنّه لا يدرّس –فكره– في أي جامعة عربية على الإطلاق وهو من طينة: طه حسين والعقاد وأحمد أمين... **فأين الخطأ؟**

[1])- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتطور**. ص*65*

[2])- يذكّر– هذا– البحث باستمرار بأنّ قضايا أصل اللغات هو امتداد للبحث عن أصل الأجناس التي طرحها داروين، لذلك نجد بعض مصطلحات وأفكار (الدراونة/ *Darwinistes*) في صميم النظرية اللسانية المقارنة، وعليه؛ وبالرغم من أنّ بعض الآراء تجادل بأنّ الاسترالوبيتكس ربما افتقر إلى تواصل صوتي معقّد أكثر ممّا لدى القردة العليا بشكل عام، فإنّ أقوال العلماء تختلف فيما يتعلق بالتّطور منذ ظهور الهوموسابينز أي ما يقارب (*2.5* مليون سنة)، فيرى بعض العلماء أن بداية تطوّر هيكلية شبيهة باللغة الأولية *(prot-language)* كانت مبكرة؛ إذ إنّها زامنت ظهور الإنسان الماهر (*1.2* إلى *1.5* مليون سنة مضت)، وبعضهم الآخر يرى أن تطوّر الاتصالات الرمزية بدأت مع ظهور الإنسان المنتصب (الحديث) منذ (*1.8* مليون سنة)، أو مع تطور إنسان هايدلبيرغ منذ *600* ألف سنة مضت، أمّا نمو اللغة المناسبة للإنسان العاقل كانت في أقل من *200* ألف سنة مضت . ينظر: مقال بعنوان: "أصل اللغة *de l'origine de langage*" على الرابط *https://ar.wikipedia.org/wiki*.تمّ الاطلاع عليه يوم: *2023/02/11* على الساعة (*20.17*سا).

عالية واقتدار فريد، حيث قدّم بحوثًا أصيلة شكّلت في مجملها مباحث اللسانيات التاريخية المقارنة العربية، منها:

1)- **أصل اللغة الإنسانية:** دافع العلايلي عن نظريتي الفطرة والمحاكاة (***Instinct/ Simulation***) والتي بدأت مع إخراج أصوات غير مشكلة لتتطوّر بانتظام لتولد الأصوات المرتبطة بأغراض تواصلية ثابتة، ثمّ تدخّل عبقرية الإنسان لتحاكي أصوات الطبيعة فيكون الناتج "**اللغة الفطرية/ *Innte language***"، يقول: "..لقد بدأت اللغة عند الإنسان حين شرع يلهج بأصوات غير متشكّلة؛ أي إنّها لم تنطبع بطابع خاص يميّزها، بل كانت جارية مجرى الأصوات التي يقال لها الاضطرارية المتولّدة عن الانفعالات، ولا تتمايز فيها المقاطع كالأنين والعنين والأحيح، وهي أصوات المتوجّعين والمغمومين، والهمهمة وهو الصوت الحاصل من تردّد الزفير همًّا أو حُزْنًا والزفير هو خروج النفس بشدّة عند عمل شاقّ والنحيم والنهيم وهو الأنين المركب الذي يخرجه المكدود.."[1] ثمّ دخلت في المرحلة الثانية التي توصّل الإنسان إليها "**صدفة**" فيواصل قائلا: ".. إنّ الدور الفطري في غايته أدّى إلى هذه الحروف، حروف الهجاء بأصواتها لتمثّل دلالات ثابتة تختلف باختلاف الصوت مع الحرف[..] إنّ الطرف الأقدم من لغة الإنسان الأوّل التي هي أمّ اللغات التي لا تزل سرًّا مغلقًا في مباحث علم اللغة المقارن [..] وتحتفظ بعض اللغات ببقايا من هذا الدور الفطري كما هو الشأن بالنسبة للغة التركية التي تمثّل طفولية لم تسوها مراحل العمر.."[2] ويمكن تلخيص نظريته في العجرة الآتية:

---

1)- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتطور**. ص*66*

2)- **المصدر نفسه. ص ن** وما بين معقوفين وصل لأقوال متفرّقة في كتاب لعلايلي.

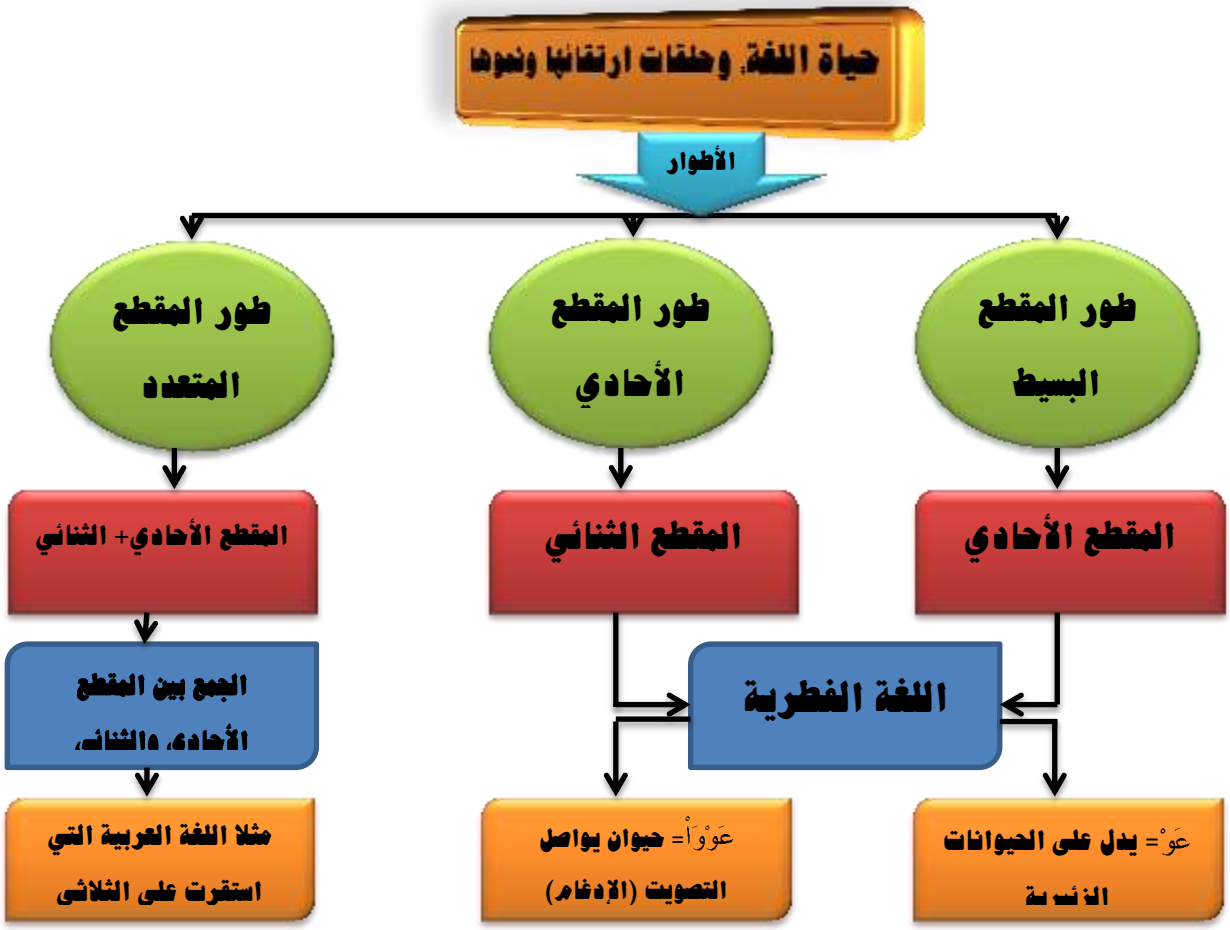

حيث انتهى المقطع الأحادي إلى "..إلى المقاطع الواحدية مثل (*ba*) المجموعة في حروف الهجاء، أو ما سمي بالجدول الهجائي بأصواته المختلفة (الحركات في العربية) وكان كلّ صوت يدلّ دلالة بعينها؛ فمثلا (عَوْ) يدلّ على الحيوانات الزئيرية و(وَاْ) يدلّ على الصوت المتكرّر بحركة الفكّين، وعنه نشأت (وَوْ) في العبرية (קָבָלָה) بمعنى وصل.."[1] ثم تطوّرت هذه الأصوات إلى **المرحلة الثانية** –المقطعين– تحت سلطة الطبيعة، يقول العلايلي: "..وقد نشأ هذا الدور مصادفة وبمحاكاة أصوات الطبيعة في مختلف أصواتها، وفي آخر هذا الدور أصبح بإمكان الإنسان أن يؤلّف بين مقطعين، مثلاً؛ لمّا أراد التعبير على أنّ الحيوان يعوي، عمد إلى

[1]– عبد الله العلايلي، **مقدمة لدرس لغة العرب أو كيف نضع المعجم الجديد**، ط*1*، المطبعة العصرية، القاهرة– مصر، *1938*م ص*123* والكلمة بالخط العبري من زيادة الباحثة.

حرف العين ذي الصوت المضموم أي (عُوْ) الذي يدلّ على الحيوان المفترس وإلى حرف الواو ذي الصوت أي (وَاْ) الذي يدلّ على الصوت المتكرّر بحركة الفكين فدغمهما وتوصل إلى (عَوْوَاْ) بمعنى حيوان يصوّت أو يواصل التصويت.."[1] أمّا **المرحلة الثالثة** فتشكل الخصائص المعروفة للغات، ويضيف العلايلي ملاحظة هامة نصها؛ "..وتمثّل هذه الأدوار الثلاثة العهد الأوّل وفيه وقفت لغات وأُميتت لغات، ونشطت لغات وهذه وحدها هي التي ألفت العهد الثاني عهد اللغات المرتقية.."[2] والتقسيم الداخلي لبنية تشكل الأصوات داخل اللغات، يتّجه العلايلي – على تقليد اللسانيات التاريخية– إلى تقسيم المراحل التاريخية التي نشأت فيها اللغات وتطوّرت ونمت، حيث يرى بأنّ هذه اللغات التي كتب لها البقاء قد مرّت بخمس مراحل تاريخية كبرى وعسيرة.

إنّ هذه المراحل التي تفرّعت عن طور المقطع المتعدّد، قد بدأت (على طريقة داروين الجلوطولوجية *glotologie* المحضة)، حيث يرجع يحدّد المرحلة الأولى في العصر البرونزي (من *3300* إلى *1200* قبل الميلاد)، ثمّ المرحلة الثانية وهي العصر الحديدي (من *1500* إلى *1000* قبل الميلاد)، ثمّ قسّمت المرحلة بعده إلى ثلاث مراحل حيث يمكن ترجمتها في الجدول المفصل الآتي:[3]

مراحل تطوّل اللغة وارتقائها ونموها				
المرحلة الأولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة	المرحلة الرابعة	المرحلة الخامسة
1200/3300 ق م	*1000/1500* ق م	لم يحددها العلايلي بالتاريخ		
مق*1*+مق*2*+ مقاطع متعددة	**مرحلة التأليف والتركيب والتسمية**	**مرحلة الزيادة الحرفية في الكلمات**	**مرحلة القلب والتوليد**	**مرحلة المكملات**
كلمات اللغات	عبارة عن مؤلّف	تمّ معرفة الاسم	حيث تم تنظيم قاعدة المقاليب؛ وتوليد ستة	وهي مرحلة تعدّد المعاني للكلمة

(1)– **المرجع نفسه** ، ص*124*

(2)– **المرجع نفسه** . **ص ن**

(3)- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية؛ حفريات النشأة والتطور**. ص*67* وما بعدها بتصرّف

ومفرداتها	حرفي لا دلالة لحروفه على الانفراد	والفعل والحرف والوصف والمحل والزيادة في بداية ووسط ونهاية الكلمة	مواد لكل ثلاثي متخذة توالدًا على نمط الكائن الحي والناموسي العام	الواحدة بحسب مرونتها الصرفية الثلاثي الرباعي...

جدول رقم (*02*) يلخص نظرة العلايلي لنشأة اللغات وتطورها.

والجدير بالذكر –ههنا– أنّه في كلّ مرحلة من هذه المراحل عملية اصطفاء قاسية جدًّا، فكلّ لغة لا تستطيع أن تنتقل (من وإلى) فإنّها تموت وتندثر، وبالتالي فإنّ اللغات الموجودة الآن هي اللغات الطبيعية التي تأقلمت مع مختلف المراحل وصمدت أمام كافة التغيّرات، وهنا نتذكر شعار داروين الشهير: **البقاء ليس للأقوى وإنما للأكثر استجابة للتغيير أو قدرة على التأقلم.**

وبهذا التفسير يفتكّ العلايلي مكانة هامة –جدًّا– كرائد اللسانيين التاريخيين،* ويضع بصمته على اللسانيات التاريخية المقارنة إجمالاً لأنّه لم يبحث فقط في تاريخ وتطوّر اللغة العربية وإنّما في اللغات بشكل عام، غير أنّ العلايلي وكذلك مصطفى غلفان لم يشيرا إلى المرحلة السادسة وهي الفترة الحديثة والتي بدأت في حدود القرن الخامس عشر (*1492*م) وامتدّت إلى الفترة الراهنة فإذا كان العصر البرونزي نسبة إلى استعمال الإنسان للبرونز، والحديدي إلى إذابة الحديد واستعماله في الأسلحة ومختلف مناحي الحياة، فإنّ التطوّرات التكنولوجية العالمية قد قلبت مفاهيم المعجم اللّغوي لكافّة اللغات تقريبًا، ووسمتها بخصائص ومميزات جديدة تستجيب لحاجة الإنسان المعاصر، ولو فعل ذلك –والأسف دونه– لكان أعظم لساني تاريخي ليس –فقط– على المستوى العربي وإنّما العالمي أيضا.

---

*)- بالعودة إلى التقاليد الغربية (أوروبا خاصة)، نجد أنّ **موضوع نشأة اللغة**، الذي يعدّ "**أصعب مشكلة في العلم**" قد أعجز الفرنسيين عن مجاراة الألمان في تطوير بحوث علمية حقيقية فيه، نظرًا لتأخرهم عن استثمار نظرية "**داروين**" حيث لجؤوا إلى الحلّ الأسهل، فقد قامت **الجمعية اللسانية الباريسية** *Linguistic Society of Paris*، سنة *1866*م، بحظر ومنع كلّ بحث أو نشر أو حتى نقاش علمي حول "**أصل اللغة الإنسانية**" بحجة قلّة توفر الأدلة العلمية الكافية للموضوع، وقد تبعتهم –بأسف شديد– كلّ الدوائر العلمية في أوروبا، ولم يتم العودة إليه إلاّ مع بداية التسعينات القرن الماضي، بعد أنْ قطع فيه جورجي زيدان وعبد الله لعلايلي ولسانيون عرب كُثُر أشواطًا في هذا السياق، **فإلى متى نبقى رهينة المزاج الغربي المتقلب؟**

ب/ب-د)- تحليل الفصل الرابع إلى السابع من الكتاب: والذي جاء فصله الرابع بعنوان: "الخطاب اللّغوي الاستشراقي" ويتكوّن من (*19* صفحة)، والفصل الخامس "النشاط اللّغوي المعجمي" ويتكوّن من (*25* صفحة)، والفصل السادس بعنوان "وأخيرًا ظهرت اللسانيات" ثمّ آخر الفصول بعنوان "اللسانيات العربية الحديثة؛ حفريات النشأة والتكوين" والذي يعدّ خلاصة الكتاب ويقع في (*12* صفحة)، وقد تعرض فيهم إلى المسائل الآتية:

ينطلق مصطفى غلفان في تحليله لهذه المحطّات المعرفية بإبداء قلقه من تأريخ الخطاب اللساني العربي الحديث بدءًا من عبد الواحد وافي ما بين (*194-1941*م) وهو الأمر الذي يحمل بين طياته نكرانًا بواحًا للأعمال العلمية الجادّة والممتازة والمتطوّرة جدًّا، والتي سبقته بوقت طويل، وهي أعمال كانت سببًا في نهضة علمية واسعة من مؤلّفات عُرفت في أوساط ضيقة، من بينها الأعمال الرائدة للمستشرقين، يقول: "..ولا أحد يمكنه أن ينكر أنّ المستشرقين دشّنوا مرحلة جديدة من البحث في قضايا لغوية ذات أهمية بالغة بالنسبة للغة العربية، مثل: مشكلة التطوّر في جميع مستوياته، وأنّ الدرس اللّغوي العربي لم يتمكّن من تطوير هذه البحوث، بل ولم يستطع حتى اليوم معالجة هذه القضايا وما يشابهها بشكل يماثل ما قام به هؤلاء المستشرقون من أمثال برجشترايسر وفيشر وفوك وبروكلمان .. وغيرهم.."[1] حيث أسهم هؤلاء وغيرهم الذين كانوا مكوّنين بشكل ممتّاز في المناهج اللسانية المقارنة والتاريخية والفيلولوجيا -فضلا- عن معرفتهم العميقة باللغات الشرقية وبتاريخها وبخاصة العربية في مناقشة قضايا جديدة في اللغة العربية وفي تفسير بعض ألغازها.

يذكّر المصنّف -مصطفى غلفان- بأنّ العلاقة الثقافية العربية الأوروبية قد بدأت منذ القرن السادس عشر، أي منذ أن عمد بابا الفاتيكان (**هونيروس الرابع؛** ***1210-1287***م) إلى إنشاء "**معهد اللغات الشرقية**" سنة *1285*م، وجاء بعده البابا (**كلمنت الخامس** ***1264-1314***م) بأمر يقضي إنشاء كرسي للغة العربية في جامعة كولاج دو فرانس، وهو الأمر الذي طُبّق بعده أي

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية؛ حفريات النشأة والتطور**. ص*90*

سنة (*1587*م)، ونشأت بعده المدرسة الوطنية للغات الحيّة في باريس سنة ***1795***م، أمّا من ناحية الروّاد فإنّ كثيرًا من المستشرقين الذين حفروا في اللغة العربية وتاريخها وتراثها العلمي قد كانوا تلاميذ عن العلامة الشهير "**أنطوان إزاك سلفيستر دوساسي**"* الذي يسميه الفيلسوف "**عبد الله البدوي**" شيخ المستشرقين الفرنسيين" الذي كان أستاذَ أوروبا في اللغة العربية دون منازع! والذي أسّس الاستشراق** بمعناه العلمي، ومن جهة أخرى فقد أثّر في زعماء المنهج التاريخي المقارن من الإخوة شليجل والإخوة غريم وشلايشر وهمبولت الذين تتلمذوا جميعًا على يديه وأغلبهم أخذ عنه اللغة العربية وضمّنوا نظرياتهم ومناهجهم مقولات أخذوها من الدراسات اللغوية العربية القديمة، يقول غلفان: [1] ".. ومعروف أنّ بوب –الذي مرّ معنا في المدخل والفصل الأوّل– رائد المنهج المقارن كان يتقن اللغة العربية جيّدًا، بل وإنّ نحو العربية ساهم مباشرة في ظهور مفهوم (**التصريف**) مفتاح صَرْحِ نظرية المقارنة عند فرانز بوب، كما شكّلت العربية برهانًا حاسمًا لصحّة الاستنباطات التي دعا إليها بوب في إطار المقارنات بين اللغات التي قام بها.." لهذا نجد نوعًا من التماثل الثقافي بين ما كان يؤلف في أوروبا وفي العالم

---

*)- قام **سلفيستر دوساسي** بتوجيه **الطهطاوي** –بعد اكتشاف موهبته– إلى هذا الحقل من المثاقفة، وقد اعتمد في ذلك على تنظيم امتحان نهائي للطهطاوي سنة *1830*م، بتقييم قدراته في ترجمة مواد مختلفة إلى اللغة العربية من (تاريخ، سياسة، حقوق أخلاق علم المعادن، الطب، والهندسة)، وهذه هي المواد التي قدّمها الطهطاوي إلى القارئ العربي تحت عنوان "**تلخيص الإبريز في تلخيص باريس**"، بعد أربع سنوات *1834* الذي مرّ بنا في هذا البحث وحقّقه محمود فهمي حجازي، أو "**الديوان النفيس بإيوان باريس**" وهو العنوان الأصلي، وفي هذا الكتاب يصف دو ساسي وصفا يليق بالرجل: ينظر: رافع رفاعة الطهطاوي **تلخيص الإبريز في تلخيص باريس**. ص*94* ولكنّه لم يشر إطلاقًا إلى هذه الحادثة وما كان لفضل دوساسي عليه، وهو الأمر الذي لم يعلّق عليه أيضا المحقّق ولم يذكره مصطفى غلفان بدوره، للتوسيع ينظر الموقع الآتي: مقال بعنوان "**دوساسي شيخ المستشرقين**" ***https://www.albayan.ae/our-homes/2010-08-28*** تم الاطلاع على الرابط يوم : ***2*** ماي ***2023***م الساعة (*22.30*سا)

)- حتى لا يحمل هذا البحث همّ التأويل، فإنّه لا يَجمع الاستشراق كاملاً في خانة واحدة؛ إذ إنّه يفرّق بشكل دقيق بين الاستشراق العلمي الذي –ندين له– في اكتشاف نصوصنا العربية المغمورة وتحليلها وتقديمها للقارئ العربي في شتى المجالات **وهم المستشرقون المعتدلون من سلفيستر دو ساسي ومدرسة فرانكفورت الألمانية، فأغلبهم قد تلقى النصوص العربية مباشرة وكانوا يتقنون اللغة العربية التي درسوها في الأزهر ومختلف الجامعات العربية، والأجيال الأخرى من الاستشراق من أصحاب النزعة **الاستشراقية الاستعمارية** وهم **حطب التاريخ كما يقال عنهم**، من المدرسة الفرنسية فيما بعد والإنجليزية والأمريكية لاحقًا.

[1])- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتطور**. ص*93*

العربي سواء على أيدي المستشرقين الذين كانوا يؤلفون باللغة العربية وباللغات الأوروبية الأخرى -خصوصًا- الألمانية في جيلها الأوّل الذين تتلمذوا مباشرة على دوساسي، أو العرب الذين هم تلامذته بالأساس، وقد كان ملخّص الاستشراق والاستغراب، في القضايا الآتية:

قضايا الاستشراق	المؤلفون	المؤلفات	سنة النشر	الملاحظات
طبقات اللغة العربية	إسرائيل ولفنسون	**تاريخ اللغات السامية**	*1939*	حيث يطبّق المنهج المقارن بين مختلف اللهجات العربية، ثمّ بين العربية واللغات السامية
الأمثال والحكم العربية والحديث الصحيح	إنو ليتمان	**بقايا اللهجات في الادب العربي**	*1946*م	وقد دافع عن النصوص النثرية في الاحتجاج لأنّها أقرب إلى روح العربية من الشعر الجاهلي
المعجمية العربية	إدوارد ويليام لين *E. W. lane*	**المعجم العربي- الإنجليزي**	*1874*م	وهو معجم لخّص فيها المعاجم العربية خاصة مجم تاج العروس إلى الإنجليزية للتعريف بالتراث الإسلامي
	رينهارت دوزي	**الناقص في المعاجم العربية**	*1881*م	وهو كذلك معجم جمع فيه مادة علمية من تاج العروس ولسان العرب وأكمل فيهما الناقص
	أرنيست رينان	**التاريخ العام للغات السامية. ونسقها المقارن**	*1863*م	يرى أن اللغات هي نتاج مباشر للوعي الإنساني، فهي تتغير باستمرار مع تغير هذا الوعي، والنظرية الحقة بخصوص اللغات ليست، بمعنى ما، سوى تاريخ هذه اللغات.
المعجم التاريخي للغة العربية	أوجيست فيشر	**التقرير الخاص بتأليف المعاجم التاريخية في اللغة العربية**	*1949*	مشروع لم يكتمل

اللغة العربية الفصحى	جوتهلف برجشترايسر	**التطور النحوي للغة العربية**	*1929*	يعيب على علماء العرب القدامى عدم تعرّفهم على اللغات السامية الأخرى التي تأثرت بها اللغة العربية

حيث يقوم مصطفى غلفان بتحليل تجاربهم وأهمّ ما يطبع أعمالهم وأهميتها في اللسانيات التاريخية وفي فهم اللغة العربية، ونلاحظ بأنّه سيتوقّف –مطوّلا– مع المستشرق الألماني جوتهلف برجشترايسر (*1886/1933*م)، نظرًا لتعمّقه في دراسة العربية من جهة، ولأنّ هذا التعمّق قد هدى صاحبه إلى تطوير مفاهيم ممتازة سنجدها فيما بعد من أساسيات اللسانيات العامة عند سوسير، يقول غلفان: ".. لقد عاب برجشترايسر على الزمخشري ما أورده في باب إبدال بعض الحروف نحو (هن) بدل (إن) في لهجة طي، وذكر أنّ الهمزة في (ماء) و(أمواء) أبدلت من الهاء بدليل وجودها في مياه جمع ماء، ومبرّر هذا أنّ الصورة الأصلية لكلمة ماء كانت ***mai*** أو قريبة منها، وأنّ الهاء في مياه وما ماثلها من الجموع زائد.. ولو أنّ الزمخشري ألمّ باللغات السامية لسلم من الوقوع في هذا الخطأ.."[1] ثمّ يبيّن المفاهيم اللسانية المعاصرة مع الفروقات المنهجية وفائدة تطبيق هذه المناهج المستحدثة على النحو العربي لتعميق الفهم فيه أكثر وبطريقة علمية قياسية.

من المفارقات التاريخية العجيبة، أنّه كان من حظّ الطلبة العرب الذين تابعوا محاضرات برجشترايسر المنتدب للتدريس في جامعة القاهرة، أن يكونوا أوّل من يتلقى المفاهيم السوسيرية "**الوصفية/ البنوية**" قبل الأوروبيين أنفسهم في مطلع العشرينات من القرن الماضي، حيث فرّق لهم –بشكل تطبيقي– بين تناول النحو العربي من ثلاث وجهات نظر مختلفة؛ **الوجهة التاريخية** التي تبحث عن الأصول، **ووجهة المقارنة** التي يبين لهم المتشابهات والمختلفات، **والوجهة النظامية** (systématique) والفروقات المنهجية بين هذه الوجهات في مقولة جمع التكسير في النحو العربي، قائلاً: ".. فالمسألة التاريخية فيه، هي: ما هو أصل وكيف نشأ من ذلك الأصل؟

[1])- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتطور**. ص*100*

ونجد أيضا أنّ أوائل استعمال الجمع المكسّر ترجع إلى زمان قديم، وأنّ القليل من أبنيته يوجد نظيره في اللغات السامية الشمالية وأكثره خاص باللغة العربية والحبشية، وتبدأ الدراسة النظامية لنفس الظاهرة بالتساؤل عن أي علاقة تقوم بين الجمع المكسّر والجمع السالم وسائر الأبنية الدالة على الكثرة، وما الفرق بين هذه الأنواع كلّها في المعنى والاستعمال إلى آخر ذلك.."[1] كما سيميّز –أيضا– بين الدراسة التاريخية والآنية، ويفصلّ في الوصفية والصفوية (***Normative***) وغيرها من المفاهيم التقدّمية الثورية التي كان سباقا إلى طرحها على الطلبة العرب.

ويكون بذلك برجشترايسر قد أعلن من جامعة القاهرة دخول العرب في المرحلة الجديدة من مراحل الدرس اللّغوي المعاصر وهو مرحلة "**اللسانيات العامة..أخيرا**" التي ستمرّ –تقريبًا– بنفس المخاض الذي مرّت به اللسانيات، فقد ضيّع الخطاب اللساني العربي ما يقارب ستين سنة على هذه المحاضرة من الإفادة بهذا العلم وتضييق حدود استثماره، بالرغم من قيام أعمال ممتازة فيه بدءًا من الأربعينات على يدي كلّ "**علي عبد الواحد وافي**" سنة ***1940*** في كتابه "**علم اللغة**" وإبراهيم أنيس في كتابه "**في الأصوات اللغوية**" ***1947***م، وكذلك تمام حسان[*] وكتبه "**الأصول**، **مناهج البحث في اللغة *1955*م**، **واللغة العربية بين الوصفية والمعيارية** سنة ***1957***م" ومؤلفات أنيس فريحة "**نحو عربية ميسرة**" ***1955***م، ومحمود السعران "**علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي**"، سنة ***1962***م، وريادة الأعمال المترجمة مثل ترجمة أحمد مندور لمقال مطوّل لأنطوان ميي بعنوان "**علم اللغة**" سنة ***1946***، وترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص لكتاب فاندريس "**اللغة**" سنة ***1950***م

---

[1]– برجشترايسر، **التطور النحوي للغة العربية**. ط*1*، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة مصر، ***1981***م، ص*3*، ومصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**، ص ***104***

[*]– من فضائل هذا الرجل الجليل "**تمام حسان**" (*2011/1918*م) على الدرس اللساني العربي أنّه ألّف كتابه الشهير "**اللغة العربية مبناها ومعناها**" والذي عدّه النقّاد أعظم كتاب في تاريخ العرب منذ زمن سيبويه، لهذا أطلق عليه تسمية "**سيبويه العصر**" والفضيلة الثانية؛ أنّه أوّل لساني في التاريخ وفي العالم يؤكّد بأنّ "**المعجم**" نظام لغوي متكامل تربطه علاقات محدّدة وليس مجموعة من المفردات المرتبة "**قائمة**" حيث يفرض استعمال مفردات ما على مستعمليها استعمال مفردات محدّدة لا سبيل إلى تجنّبها، وفضائل الرجل أعظم وأكثر من أن يهمس بها في هذه الحواشي.

وإنشاء مراكز علمية خاصة بالبحث اللساني في تونس ***1964***م والجزائر ***1971***م، وترجمات محاضرات سوسير ما بين ***1984-1985***م، وهذا -كلّه والعديد غيره- شكّلت المصادر الأساسية للخطاب اللساني العربي المعاصر بما في ذلك حيثيات هذا البحث.

إنّ العودة إلى وصف هذه الأعمال والتأريخ لها ليس إشفاءً للغليل الذي نجم عن مزايا أعمالهم ذات الأهمية الكبرى، أو مثلما يقول روبن هنري "..أو بسبب نواحي النقص فيها التي أشار إليها الدارسون في الفترات المتأخرة بشكل مسوّغ عند نظرتهم إلى الوراء من زاوية النظر المحدّدة لهؤلاء القائمين عند الطرف القصي في الفترة الراهنة.."[1] كما يبّرر مصطفى غلفان بأنّ فلسفة العودة من المنظور التاريخي "..لا يعني البتّة الرغبة في العودة إلى الوراء أو البكاء على الماضي وتمجيده والتعلّق به، كما أنّ هذا لا يعني كذلك تبرير مشاكل الحاضر وهمومه بردّها إلى الماضي في أشكاله المختلفة ومواقفه المتباينة، إنّ تناول أزمة اللسانيات الحديثة في بعدها التاريخي يساعدنا على فهم ما جرى وما يجري الآن وبالتالي استنطاق أدقّ وأوضح للمسألة واستكشاف أبعد وأعمق لها.

وعليه فإنّ الفصل الأخير من البحث الذي كان بعنوان "اللسانيات العربية الحديثة؛ حفريات النشأة والتكوين" والذي حلّل فيه عدم تأسيس اللسانيات في الثقافة العربية بالرغم من كلّ التجارب الناجحة والريادية التي مرّت عبره، بدءًا من عصر النهضة إلى اليوم، والتي كانت ناجحة ومتميزة وأصيلة وتأسيسية في مجملها، وبالنظر إلى -كلّ ذلك- فإنّه كان على مصطفى غلفان أن يجعل العنوان الفرعي لهذا الفصل بصيغة مغايرة، كأن يقول: "اللسانيات العربية الحديثة؛ تأريخ للفرص الضائعة" أو "أزمة اللسانيات" أو "الميلاد المؤجل" أو حتى "الحلقة المفقودة"...الخ، وذلك لأنّ كل الشروط الاجتماعية والثقافية والعلمية والمؤسساتية والجهود الفردية وعبقرية الباحثين العرب وغير العرب كلّ ذلك كان يتجه صوبًا إلى توطين اللسانيات العربية توطينا عميقًا كان يمكن أن

---

[1]- روبن هنري روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)**، تر: احمد عوض، ص*27* بتصرّف

يجعله في مصاف المنافسة الإبستمولوجية النّدّية بين العرب والغرب، ولكن ذلك لم يحدث للمسوغات الآتية:

1)- التوجّس خيفة وشكًّا وعدم الارتياح للأعمال التي قدّمها المستشرقون، وبالتالي تجنّب اقتفاء أثرهم في المنهج والتحليل والطرح ومواطن البحث، ونتيجة ذلك أنّه وإلى اليوم ليس –لدينا– دراسة قيّمة لتطوير اللغة العربية، ومثل ذلك أيضا؛ المعجم التاريخي للغة العربية الذي سطّر معالمه أوجيست فيشر غير المكتمل بسبب وفاته، رغم أنّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد موّله وتبناه ولكن إلى يومنا هذا لم ير النور، وقد دافع الحاج صالح –في الجزائر– عن هذا المعجم وجنّد له باحثين من مختلف أصقاع العالم العربي إلاّ أنّه لم يكتمل بعد –مرّة أخرى– إلى تاريخ تحرير هذا البحث، ويبقى الأمل عالقًا بدول الخليج التي أحيت هذا البحث.

2)- النظر إلى اللسانيات نظرة مناسباتية ظرفية حيث إنّ الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة تنظر إليها على أنّها من العلوم الجانبية أو علوم الترف أو العلوم الكمالية ليس إلاّ، ذلك أنّ المجتمع العربي بأشدّ الحاجة إلى العلوم التي ترفع عنه الغبن وتحسن أوضاعه، كالطب والهندسة والعمران ..الخ.

3)- غضّ النظر عن الأعمال اللغوية الرائدة التي قدّمها عرب من شرائع غير إسلامية كما هو الحال مع جورجي زيدان وأنستاس الكرملي المرمرجي الدومينيكي... وغيرهم ممّا أحيطت بهم الشكوك في النزاهة وأنّهم امتداد لحركات سياسية استعمارية عالمية، وإنّ كان الأمر مجانبًا تماما للصواب، فحتى المسلمون الذين اشتغلوا بهذه المباحث وتميّزوا فيها مثل عبد الله العلايلي" سرعان ما تمّ اتهامهم بتمثّل بعض النحل التنويرية المغضوب عليها، وقد خسر العالم العربي مع هذا الرجل معجمًا كان من أهم المعاجم التي أُلّفت في القرن الماضي بعنوان "**الجامع**" و"**المعجم**" فأمّا "المعجم" فإنّنا لا نتوفر على أي طبعة أو نسخة منه، بالرغم من وجوده في مكتبته ببيته، أمّا المرجع فقد أضاعه بسهولة صاحب المطبعة بمصر!

4)- هيمنة النزعة الأدبية على مجال الثقافة العربية لأغراض سياسية وشحذ وشحن همم الشعوب العربية، وتأجيل المباحث اللغوية التي كانت تخاطب العلماء والمختصّين، يقول غلفان: "..إنّ أعلام العرب من جيل الثورة ***1919***م، وبخاصة طه حسين والعقّاد وسلامة موسى والمازني والزيات وتيمور و حديد والصاوي ومحمد عوض محمد، كانوا قد استنفذوا طاقاتهم الثورية الخلاّقة على امتداد الفترة الواقعة بين الثورة والمعاهدة، الذين قاموا بتنشيط الحركات الأدبية العربية شعرًا ونثرًا ونقدًا.."[1] ولكن هؤلاء –على الأقلّ– نشطوا العقل العربي في جانبه الأدبي وهو ثاني أهمّ الجوانب التي تحتاج إليه ثقافة أي أمّة من الأمم.

5)- دور اللغة الإنجليزية الاستعمارية؛ فقد أجبرت الحركة الاستعمارية الأنجلو–ساكسونية على تقديم اللغة الإنجليزية للأهالي والبلدان المستعمرة، وبالرغم من انفتاح أوروبا عليها فيما بعد، إلاّ أنّها لم تكن أفضل حالاً من اللغة العربية حينها في مجال اللسانيات، هذه الأخيرة التي كانت تقدّم باللغات الفرنسية والألمانية والروسية المؤسسة من ذي قبل في العالم العربي..الخ، كما تزامت الحركة اللسانية في إنجلترا وأمريكا مع سابير وبلومفيلد وغيرهما مع النصف الأوّل من القرن الماضي، والتي لم تشتهر في العالم العربي إلاّ بعد نصفه الثاني بسبب اللغة الإنجليزية!

ثالثا)- **تحليل خاتمة الكتاب:** جاءت الخاتمة ملخّصة في صفحة واحدة (وفي ثلاث فقرات أساسية) أين انتهى فيها المصنّف إلى تقديم جملة من التوصيات لتوطين اللسانيات في الثقافة العربية والتذكير بضرورة إيفاد كلّ من اللغة والثقافة العربيتين من اللسانيات بمختلف مناهجها ونظرياتها ونقل التجارب الناجحة فيها، بالشّكل الذي يمنحهما نفسًا حضارية وحرية فكرية خلاّقة ومبدعة محذّرًا من تركهما أمام المشكلات الزائفة والنقاشات السطحية، وأمام تلك الأقلام والأفكار التي قسّمت كلّ شيء إلى ثنائيات تبديلية؛ فاللسانيات ليست بديلاً عن النحو، والأصالة العربية ليست موضوع اللسانيات ولا رهنها، والجديد لا يلغي القديم.. يقول غلفان: "الحداثة والمعاصرة لا تكونان بخلق البلبلة في الأفكار ودغدغة المشاعر بدلا من مواجهة الواقع [..]

---

[1]- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**. ص*167*

وإلاّ فقد تستيقظ الثقافة العربية غدًا على كارثة معرفية في شتى العلوم وليس في اللسانيات وحدها"[1] وهو الأمر الذي بدأت ملامحه في الظهور في الفترة المعاصرة.

رابعًا)- **قيمة الكتاب:** للكتاب قيمة جليلة وعظيمه، فقد عاد بالقارئ إلى المرحلة الأولى من عصر النهضة وبيّن مظاهر النشاطات الفكرية آنذاك، ثمّ تتبّع دور الطلبة المبتعثين إلى الخارج وحاصل منجزاتهم، كما عرّف بالمناهج اللسانية بشكل تطبيقي مع أعمال الباحثين العرب وغير العرب من المنهج التاريخي والفيلولوجي والمقارن، ونحن نعلم الفقر والعوز التأليفي المعاصر في هذا المجال بَلْهَ وتكاد المكتبات تفتقر تماما للنصوص العلمية لهذه المناهج، ثمّ صنّف الآراء والاجتهادات العربية مع حصر أجناسها وهي أعمال قد طواها النسيان فلا يكاد يلتفت إليها أحد في الفترة المعاصرة بل ويجهلها تماما، كما حدث من جورجي زيدان الكرملي ضومط وعبد الله العلايلي..، وصحح النظرة الريبية التي تجمع الاستشراق كلّه تحت حكم واحد، مع عرض مجالات بحوثهم وخدمتهم العميقة للغة العربية، وختم بأزمة اللسانيات في الثقافة العربية وكيفيات تجاوزها وإعطائها المكانة التي تليق بها ضمن العلوم الإنسانية والدقيقة التي تبني صرح الثقافة العربية في الفترة المعاصرة.

وبالتالي فإنّ هذا الكتاب يعدّ قيمة مضافة إلى المكتبة اللسانية العربية في الفترة المعاصرة ومن المصادر الأساسية والمراجع المهمّة التي يتوجب على البحثة الاطلاع عليه والاستفادة من تجربته، قصد تحديد الصعوبات والعراقيل التي كبحت تطوّر الدرس اللساني في الثقافة العربية وكذلك استخلاص أهمّ الأعمال المقترحة في هذا السياق، ونقد موطن الضعف فيه وإقامة صرح علمي نقدي ينتهي في الأخير إلى الارتقاء بالدرس اللساني العربي وباللغة العربية إلى المستوى المطلوب استعمالا وتعليما وتحليلاً.

---

[1])- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**. ص*170*

خَاتِمَةٌ

من خلال –هذه– الرحلة الشائقة الشائكة الماتعة التي تتبّعنا في تفاصيل ودقائق كتاب مصطفى غلفان اللسانيات في الثقافة العربيةّ حفريات النشأة والتكوين لإعادة بناء الخطاب اللساني للمؤلف وللثقافة العربية ككلّ في عصر النهضة وما بعدها؛ حفرًا و تنقيبًا لتصنيف الأعمال العلمية المحصورة بهذه الفترة، واستطاع نقل هذه المرحلة إلى مصاف البحوث الإبستمولوجية واستخلاص الأفكار والمبادئ والمفاهيم والأزمات التي مرّت بها اللسانيات بمختلف مراحلها التاريخية والمقارنة والفيلولوجيا فضلا على اللسانيات العامة في نهاية هذه المرحلة، مبرّرًا مسوّغات تأخر العقل العربي عن هذا الركب الحضاري الذي كانوا قريبين جدًّا منه، وبذلك يخلص البحث إلى جملة من النتائج، وهي:

1)– يعود فضل إلى النهضة العربية وإلى البعثات العلمية التي أُفيدت إلى أوروبا حيث اطّلع المبتعثون على مختلِف أصناف العلم من المصادر الأساسية له وفي لحظات ابتكارها وتطويرها، وبالتالي اطلاعهم الممتاز على السياقات المعرفية التي طوّرت فيها، وهذا ما بيّنه مصطفى غلفان بشكل ممتاز، وبالتالي فإنّ التأريخ لها ليس تأريخا للأزمات وبالتالي إبطال هذه الفرضية، في حين تصدق الفرضية الثانية التي تنص على أنّ التأريخ للبدايات هو بحث في إبستيمات المعرفة التي تشكّل قاعدة بيانية لفهم لحظات التلاقي العربي–غربي.

2)– يرى مصطفى غلفان أنّ النّقل والترجمة من أهمّ الآليات الفعّالة لنقل العلوم والمعارف وتوطينها في العالم العربي، حيث تدين للمترجمين اللبنانيين في البداية على النشاط الدؤوب الذي قام به كلّ من أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني وسعيد الشرثوني ولويس معلوف وجرجس هُمام وعبد الله البستاني وأحمد رضا وعبد الله العلايلي واليازجيين؛ ناصف وإبراهيم وجرجي زيدان .. الخ، وبالتالي فإنّ محاولة –غلفان– بعيدة –تماما– عن أي اندفاع عاطفي أو توجّه ذاتي وعليه نُثبت بطلان الفرضية الثالثة، بل هو وعي تامّ بأنّ البحث في هذه المصادر سيعود بفائدة علمية جليلة سواء أصنّفنا هذه الأعمال ضمن المحاكاة أم ضمن البحوث الأصيلة كما أشرت في الفرضية الثالثة التي أظهر البحث صدقها.

3)- أكّد مصطفى غلفان أنّ الأعمال العلمية الجادة والممتازة التي قدمها الأعلام السابقون الذين تمّ نسيانهم بشكل ما، هي أعمال علمية ذات أبعاد معرفية حقيقية لا يجوز نسيانها أو القفز عنها، والعودة إلى مصادر ومراجع لم تَعُد فعّالة وغير قادرة على مساعدتنا في فهم أزماتنا اللسانية أو أن تصل بنا إلى المستويات العميقة في اللغة العربية، وعليه فإنّ البستاني وزيدان والعلايلي يجب إعادتهم إلى النقاش العلمي وتقريبهم إلى القارئ العربي، وإخضاعهم للدراسة والبحث والنقد حتى نتمكن من تصنيفها في الخانة المناسبة لها.

4)- لقد دقّق مصطفى غلفان في الدرس اللساني العربي، وبخاصة في المرحلتين (الأوّلى والأخيرة) ممّا يجعل كتابه من أهم المصادر التي تؤرّخ لهاتين اللحظتين بمنهجية أكاديمية صارمة، وبطريقة علمية موضوعية حيادية بعيدة عن الوصف التجميلي أو التقديحي.

5)- يقرّر مصطفى غلفان إعادة النظر في موقفنا المعاصر من أعمال المستشرقين الذين درسوا اللغة العربية وحلّلوها وتبحّروا في أعمال النحاة واللغويين العرب القدامى وحقّقوا كتبهم ونقدوهم وقدموهم إلى العرب، كما حفزوا العقل العربي بفتح مجالات جديدة في البحث اللغوي، مثل: مقارنة اللغة العربية مع أخواتها الساميات والبحث في اللهجات العربية وفي الثروة الأدبية العربية(الجاهلية خصوصا) ودراسة اللغة المعيارية دراسة تاريخية، فنتج عن ذلك أطروحة المعجم التاريخي لفيشر والبحث في التناظرات اللغوية على نحو ما قام به الكرملي، هذا الأخير الذي قدّم منهجية علمية لإثبات أن **اللغة العربية هي أم اللغات الآرية واللغات الحامية السامية. فماذا نريد أكثر من هذا؟ وهل يدرك الباحثون اللسانيون العرب في الفترة المعاصرة بأن هناك تشابها للألفاظ بين اللغة السنسكريتية وفي جذورها الثنائية مع اللغة العربية؟ وهل يعرف علماء اللسانيات التاريخية في أوروبا والذين يجدون صعوبات في فهم بعض التراكيب السنسكريتية بأن الجواب موجود في اللغة العربية؟**

كما يخرج البحث بجملة من التوصيات، وهي:

- إنّ المناهج والنظريات هي أدوات وتقنيات منهجية لتحليل الموضوعات تحليلا علميًا ولا علاقة لها بأبعاد الموضوعات الاجتماعية والهوياتية والأيديولوجية، وبالتالي النظر إليها

من هذه الزاوية تربك أي باحث صحيف، وتحيد به عن الموضوعية والحياد المطلوبين فإذا طبّقنا هذه المناهج على اللغة العربية فهذا لا يعني -أبدًا- تجرّؤًا عليها أو امتدادًا لإرادة مهرطقة بها، ولا يمنعنا أي مانع من الانتقال من منهج إلى آخر حتى ننتهي إلى مناهج يجعلنا أكثر فهما واستعمالا وإدراكا وحبًّا لطبيعة اللغة العربية، ولتعميق هذه الأطروحة يتوجب الانطلاق أوّلا من كتاب غلفان بعنوان: **اللسانيات العربية الحديثة؛ دراسة نقدية في الأسس النظرية والمنهجية**، *1989*م، ثم كتابه :اللسانيات العربية؛ أسئلة المنهج" المنشور سنة *2011*م.

- إنّ الانفتاح على الحضارة والإنسانية لا تعني -في شيء- التنكّر للأصول والتاريخ والهوية، وإنّما يتوجّب بناء ثقافة مرنة تستوعب الماضي وتستثمره وتمنع الانتماء المستهلك وتتكيّف مع الحاضر وتجعله يتكامل وسردياتنا النشطة، ولا يجوز التسرّع في الانتماء إلى إحدى الطائفتين؛ طائفة جعلت التاريخ مشروعًا مقدّسًا، وطائفة ثانية تجعل المقدّسات مشروعًا تاريخيًا ليس إلاّ، فالمطلوب -إذًا- هو ترسيخ ثقافة تتأسس على وعي عميق تُنزّل المفاهيم والمكنونات والمكتسبات والمعتقدات المنزلة الحقيقة بها، ثمّ تحوّل كلّ ذلك إلى عبقرية إبداعية تكون في مستوى الإنسان والإنسانية، ولبلوغ هذا المرام ننصح بكتب مصطفى غلفان وبخاصة: **كتاب اللسانيات البنوية؛ منهجيات واتجاهات**، المنشور سنة *2010*م، وكتاب: "**لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد**" المنشور سنة *2015*م.

إنّ أعمال مصطفى غلفان أعمال جادة وذات قيمة معرفية ومنهجية عظيمة، حيث استطاع بها أن يكون رائدًا من رواد اللسانيين العرب في الفترة المعاصرة، حيث تمتزج بالتعامل مع الثقافتين العربية والغربية على مسافة واحدة، يحاول من خلالها الإفادة من اللسانيات والاستفادة من خصائص اللغة العربية وتقديمها ضمن رؤية تكاملية للقارئ العربي في الفترة المعاصرة.

تمّ بحمد الله وعونه ومنّته

قَائِمَةُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع) عن طريق الأزرق

قائمة المصادر والمراجع:

أ)- المصادر:

1)- مصطفى غلفان، **اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين**، ط*1*، كوفة النشر والتوزيع المدارس مطبعة النجاح الدار البيضاء، المغرب، *2006*م.

ب)- المراجع العربية:

2)- إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، د–ط، مطبعة نهضة مصر، مصر، دت.

3)- أحمد مومن، **اللسانيات، النشأة والتطور**، ط*3*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، *2007*م.

4)- أمين نخلة، **الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الأول من القرن العشرين**، ط*2*، مطبعة دار الكتب بيروت لبنان *1947*م

5)- برجشترايسر، **التطور النحوي للغة العربية**. ط*1*، المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة مصر *1981*م.

6)- جلال الدين السوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دط منشورات المكتبة العصرية بيروت لبنان، *1976*.

7)- جمعان بن عبد الكريم، **التطور الأبستمولوجي للخطاب اللساني**، ط*1*، الفارابي النشر بيروت لبنان *2010*م.

8)- جورجي زيدان، **الفلسفة اللغوية**، ط*1*، دار الجيل، بيروت لبنان، *1904*م.

9)- جورجي زيدان، **اللغة العربية كائن حي**، مراجعة: مراد كامل، دط، دار الهلال، القاهرة مصر: دت.

10)- جورجي زيدان، **تاريخ الأدب العربي**، مراجعة: شوقي ضيف. دط، دار الهلال، القاهر مصر: دت.

11)- حسين السوداني، **أثر فردينان دي سوسير في البحث اللغوي العربي، التلقي العربي للسانيات**. ط*1* المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، *2019*م.

12)- حلمي خليل، **العربية وعلم اللغة البنوي**، د–ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية مصر *1992*م.

13)- خليل أحمد خليل، **التراث العربي، من التراب إلى ناطحات السحاب**. ط1، المركز الثقافي العربي بيروت 2009م.

14)- سعيد الأفغاني، **من حاضر اللغة العربية في الشام**، ط2، دار الفكر، بيروت لبنان،1971م.

15)- صبحي الصالح، **دراسات في فقه اللغة**. دط، دار العلم للملايين، 1996القاهرة، مصر.

16)- عبد الرحمن الحاج صالح، **السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة** .دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، 2007م.

17)- عبد الرحمن الحاج صالح، **دراسات وبحوث في علوم اللسان**، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، د-ط، 2012م

18)- عبد الرحمن حسن العارف، **اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر** .ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا، 2013م.

19)- عبد السلام المسدي **قاموس اللسانيات**، دط تونس، الدار العربية للكتاب، 1984م.

20)- عبد السلام المسدي، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**. ط2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1986م.

21)- عبد السلام المسدّي، **ما وراء اللغة، بحث في الخلفيات المعرفية**، دط، مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994م

22)- علي عبد الواحد وافي، **علم اللغة**. ط9، دار نهضة القاهر ة، مصر، 2004م.

23)- محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1997م.

24)- مصطفى غلفان، **اللسانيات البنوية: منهجيات واتجاهات**، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة بنغاري، ليبيا، 2013م.

25)- مصطفى غلفان، **في اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها**. دار الكتاب الجديد طرابلس –الجماهرية الليبية العظمى، دط، 2010م.

26)- مصطفى غلفان، **لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد**. ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا، 2017م.

27)- نصر محمد الفارابي، **إحصاء العلوم**، دط، بيروت لبنان، 1991م.

28)- وليد السراقبيّ، **الألسنية، مفهومها ومبانيها المعرفية ومدراسها**. ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية. بيروت لبنان 2019م

ج)- المراجع المترجمة إلى اللغة العربية:

29)- جورج مونان، **تاريخ علم اللغة منذ نشأته حتى القرن العشرين**، تر: بدر الدين القاسم، دط سلسلة الكتب العلمية، دمشق-سورية 1982م.

30)- جون غريبين، **تاريخ العلم، 1543-2001م**، تر: شوقي جلال، ط1، عالم المعرفة، الكويت، 2012م.

31)- روبن هنري روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة في الغرب**، تر: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت د-ط 1990م.

32)- روى هاريس وتوليت مي نيلر، **أعلام الفكر اللغوي في التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير**، تر: أحمد شاكر الكلابي ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس الجماهيرية الوطنية.

33)- سيمون بوكي ورودولف أنجلر، **فردينان دي سوسير، نصوص في اللسانيات العامة**. تر: مختار زواوي، ط1 ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2021م.

34)- كارل بوبر، **منطق البحث العلمي**، تر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006م.

35)- ماري لآن بانو وجورج إليا سرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية**، تر: محمد الراضي. ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2012م.

36)- ماريو باي، **أسس علم اللغة**. تر : أحمد عمر مختار، ط8، عالم الكتاب، القاهرة مصر، 1998م.

37)- ميشال أريفيه، **البحث عن فردينان دو سوسير**، تر: محمد محمود البقاعي، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، 2009م.

38)- يسلقان أورو، **مسألة أصل اللغات، يليه تاريخ العلوم**. تر: نادية العمري، مراجعة عبد القادر الفاسي الفهري، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بن غازي ليبيا، 2013م

د)- المراجع الأجنبية:

39)- André Martinet, **Élément de linguistique générale**. Armand Colin, 4[eme] edition, Paris 1989

40)- Ferdinand de Saussure**, Cours de linguistique générale**, Publié par Albert Séchhaye avec la collaboration de Albert Riedlinger, édition critique préparée par Tullio de Mauro, postface et traduction de Jean louis Calvet, Edition Payot, 1967.

41)- Georges Mounin , **Clefs pour linguistique** . Collection Clefs SEGHERS , Paris , 1er édition, 1968

42)- Louis HJELMSLEV, **Prolégomènes à une théorie du la langue**. Trad ; una Canger, Edition de minute, Paris, 1971.

هـ)- المعاجم:

43)- **Dictionary of cognitive science : neuroscience, psychology, artificial intelligence, linguistics** , Olivier Houdé, publish : 2004

44)- Dictionnaire de la langue Française Le petit Robert, 1, A REY et DE Bové, Paris XIe

45)- Dictionnaire de la linguistique Georges Mounin, publier 2003

46)- Dictionnaire de la linguistique, Jean Dubois et autre**,** librairie la rousse, 1er édition. Paris.

47)- Dictionnaire des sciences du langage par Franck Neveu Publier 2011

48)- Encyclopedia of linguistics, Philipp Strazny publish : 2005

49)- International encyclopedia of linguistics par William J. Frawley ; publish : 2003

50)- Language and linguistics : the key concepts , Robert Lawrence Trask :publish : 2007

51)- Les termes clés de la linguistique par Marie-Noëlle Gary-Prieur, publier 1999

52)- Lexique des notions linguistiques par Franck Neveu publier 2009

53)- Linguistique et sciences du langage par Jean Dubois et autre, Publier : 2007

54)- Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage par Oswald Ducrot, publier 1995

55)- The Cambridge encyclopedia of the language sciences par Patrick Colm Hogan publish : 2011

و)- أطروحات الدكتوراه:

56)- قبايلي عبد الغاني، **أثر اللسانيات الغربية على اللسانيات العربية، التفسيرية عينة**. أطروحة دكتوراه بإشراف: عز الدين صحراوي، قسم اللغة والأدب العربي جامعة الحاج لخضر بباتنة، نوقشت في *2017*م. غير منشورة

57)- مصطفى غلفان، **اللسانيات العربية الحديثة. دراسات نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية** سلسلة رسائل وأطروحات، رقم(*4*)، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، *1998*م. غير منشورة

ز)- المطبوعات الجامعية:

58)- قبايلي عبد الغاني، **المطبوعة البيداغوجية في اللسانيات العامة**، قسم اللغة والأدب العربي المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف بميلة، (*2017-2018*م). غير منشورة

ح)- المجلات والدوريات:

59)- أحمد السعيدي، مقال: "الفيلولوجيا .. من فقه اللغة إلى تحقيق التراث" مجلة الفيصل، مجلّة الكترونية صادرة عن دار الفيصل الثقافية، بتاريخ: *4* سبتمبر *2018*م، على الرابط الآتي: *https://www.alfaisalmag.com/?p=12322*

60)- أحمد شحوري، **وظائف العنوان النصي**، مقال منشور على المجلة الالكترونية "المعرفة" يوم: *7* أفريل *2022*م على الرابط الآتي: *http://www.almaarifa.org/index.php/fr/literature/16-2022-04-07-21-52-25*

61)- عبد القادر الفاسي الفهري، "**ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب**" ندوة "اللغة العربية والنظريات اللسانية" كلية الآداب –فاس– سايس *2007*م.

ط)- المواقع الالكترونية:

62)- ترجمة أوقيست شليجل على موقع: *https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8* تم الاطلاع عليه يوم: يوم *20* أفريل *2023*م

63)- حوار أجراه حافيظ إسماعيلي علوي مع الفاسي الفهري، نُشر في موقع اللسانيات، الذي تم العودة إليه يوم *12* فيفري *2023*م، على الساعة (*21.20*سا) على الرابط الآتي: *https://lissanyat.blogspot.com/p/blog-page_11.html*

64)- حوار نادر حمامي مع الدكتور فوزي البدري، كاملا على الموقع الآتي يوم *15 /02/2023*: *https://www.youtube.com/watch?v=zwMRBeAhg5c*

65)– مقال بعنوان "تقرير حول المحاضرات في اللسانيات العامة" لأندري مارتنيه، على الموقع: ***http://www.revue-texto.net/docannexe/file/113/meillet_cours_1916.pdf*** يوم ***16*** جانفي ***2023***م على الساعة (***20.35***سا)

66)– مقال بعنوان "**دوساسي شيخ المستشرقين**" ***https://www.albayan.ae/our-homes/2010-08 28 -*** تم الاطلاع على الرابط يوم ***2*** ماي ***2023***م الساعة (***22.30***سا).

67)– مقال بعنوان: "أصل اللغة ***de l'origine de langage***" على الرابط: ***https://ar.wikipedia.org/wiki***. تمّ الاطلاع عليه يوم: ***2023/02/11*** على الساعة (***20.17***سا).

68)– **مقال بعنوان: "ما الفيلولوجيا" المنشور على الرابط *https://www.qpedia.org/topics/11309.html* تم الاطلاع عليه يوم: *17* مارس *2023*م.**

69)– مقال بعنوان: **وظائف العنوان النصي**، مقال منشور على المجلة الالكترونية "المعرفة" يوم: ***7*** أفريل ***2022***م على الرابط الآتي: ***http://www.almaarifa.org/index.php/fr/literature/16-2022*** المطّلع عليه يوم: ***17*** جانفي ***2023***م.

70)– موسوعة الويكيبيديا، مقال "لسانيات المتون" باللغة العربية بتاريخ: ***12*** فيفري ***2023***م، الساعة (***10.30***صبا) على الرابط: ***https://ar.wikipedia.org/wiki/*** لسانيات المتون

71)– ينظر الحوار المتلفز بين أندري مارتنيه وميشال أريفيه بتاريخ ***05*** فيفري ***1993***م، المنشور على الرابط الآتي: ***https://www.youtube.com/watch?v=vbKmOx1r5Y0*** المطلع عليه يوم ***05*** ماي ***2023***م على الساعة (***15.44***سا).

فَهْرَسُ الْمَوْضُوْعَاتِ

الدرسُ اللسانيّ في أعمالِ مصطفى غلفانَ، دراسةٌ تحليليةٌ لكتابِ اللسانياتِ في الثقافةِ العربيةِ؛ حفرياتُ النشأةِ والتكوينِ.

الترقيم	العنوان:	الصفحة
فاتحة البحث:..		
مقدّمة البحث:		1إلى 6
I.	مدخل البحث: الإطار المفهوماتي الأساسي لمصادر الخطاب اللساني في الثقافتين العربية والغربية	من ص8 إلى 19
أولاً	المصادر المعجمية العلمية للسانيات:	ص8
أ/أ	المعاجم اللسانية في الغرب:.	ص9
أ/أ/أ	المعاجم اللسانية اللاتينية:	ص10
أ/أ/ب	المعاجم اللسانية الأنجلو-ساكسونية:	ص11
أ/ب	المعاجم اللسانية المعرّبة:	ص12
-أ/ب/أ-	المعاجم اللسانية للمصطلحات اللغوية التراثية:	ص12
أ/ب/ب-	المعاجم اللسانية العربية الحديثة:	ص13
ثانيًا	تحديدات علمية ومعرفية لمصطلحات البحث:	ص13
ب/أ	التحديد التأثيلي لمصطلح اللسان:...	ص13
ب/ب	تحديد اللسانيات المقارنة:...	ص15
ب/ج	تحديد الفيلولوجيا (فقه اللغة العام):...	ص15
ب/د	اللسانيات العامة والآنية:	ص16
ب/هـ	مفهوم اللسانيات العربية:	ص17
ب/و	تحديد مفهوم اللسانيات التراثية:	ص18

ب/ز	**تحديد مفهوم لسانيات المتون:**	ص*18*
ثالثا	**تحديد مفهوم النشأة والتكوين:**	ص*19*
II.	**الفصل الأوّل: تأصيل اللسانيات المقارنة والتاريخية والعامة والعربية؛ بحث في المفاهيم ورصد لأهم المناهج والنظريات**	**من 20 إلى 53**
أولا	تأصيل علم اللغة ومقدّماته:	ص*21*
-أ/أ-	صعوبات تأريخ علم اللغة في الغرب وتعدّد الآراء حوله:	ص*21*
-أ/ب-	محاولات التأريخ لعلم اللغة:	ص*23*
أ/ج-	التأريخ المتعدّد للسانيات العربية:	ص*26*
ثانيا	الميزات الإبستمولوجية لمرحلة البدايات:	ص*26*
-ب-	مسار الدرس اللساني العام:	ص*28*
ب/أ-	اللغة السنسكريتية وفكرة الأصل المشترك:	ص*30*
-ب/ب-	النحو المقارن واللسانيات التاريخية:	ص*31*
-ب/ج-	نشاط المقارنة والتاريخية:	ص*33*
-ب/د-	نظريات اللسانيات التاريخية المقارنة:	ص*35*
-ب/ه-	السوسيرية واللسانيات الوصفية الآنية:	ص*43*
-ب/ه/أ-	طلبة سوسير؛ الجسر نحو اللسانيات العامة:	ص*44*
-ب/ه/ب-	طلبة سوسير والبرامج الدراسية:	ص*46*
ثالثا	محاضرات السنة الأولى والسنة الثانية جامعي:	ص*46*
رابعا	محاضرات السنة الثالثة جامعية:	ص*47*
-د/ه-ج-	محتوى كتاب المحاضرات *C.L.G*:	ص*47*

-ه/د-	أثر سوسير والمحاضرات:	ص49
ثالثا	أثر سوسير والمحاضرات في اللسانيات العربية:	ص50
رابعًا	مسار الدرس اللساني العربي (ميلاد اللسانيات العربية):	ص52
-ه/أ-	روّاد اللسانيات العربية:	ص53
III.	الفصل الثاني:	من 54 إلى 82
	تحليل كتاب اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة؛ حفريات النشأة والتكوين	
أولا	معلومات بيبليوغرافية للكتاب:	ص57
-أ-أ-	تحليل العنوان:	ص58
-أ/ب-	تحليل صورة الغلاف:	ص59
ثانيًا	الدراسة الداخلية للكتاب:	ص60
-ب/أ-	تحليل مقدّمة الكتاب:	ص61
-ب/ب-	تحليل مضمون الكتاب:	ص61
-ب/ب-أ-	تحليل الفصل الأوّل من الكتاب:	ص62
-ب/ب-أ-أ	النشاط المعجمي واللغوي والعلمي:	ص64
-ب/ب-أ-ب	النشاط الفلسفي اللغوي:	ص65
ب/ب-ب	تحليل الفصل الثّاني من الكتاب:	ص66
ب/ب-ب/أ	جورجي زيدان:	ص66
ب/ب-ب/ب	القيمة العلمية لجورجي زيدان:	ص68
ب/ب-ج	تحليل الفصل الثالث من الكتاب:	ص69
ب/ب-ج/أ	بحوث حول نشأة اللغة ومراحل ارتقائها:	ص70

أ	أصل اللغة الإنسانية:	ص71
ب/ب-د	تحليل الفصل من الرابع إلى السابع من الكتاب:	ص75
ثالثا	تحليل خاتمة الكتاب:	ص 82
رابعًا	قيمة الكتاب:	ص83
IV.	خاتمة البحث:	ص83
V.	قائمة المصادر والمراجع:	ص87
VI.	فهرس الموضوعات:	ص93

ملخص باللغة العربية:

والواقع....! أنّ الثقافة العربية الحديثة من منظور مصطفى غلفان لم تف الموعد مع اللسانيات، ولم تكن في علاقة تصالحية مع المناهج اللغوية المستحدثة والاستفادة منها كما فعلت مختلف الأمم الأخرى في الغرب بالرغم من بروز أعمال علمية جادة وممتازة أثناء فترة النهضة، وبخاصة في لبنان ومصر؛ حيث أسهمت أعمالهم في تعميق الفهم بموضوع اللغة ككلّ فنقلوا المناهج والنظريات وترجموا التجارب الرائدة فيها، وكادوا بها الإعلان عن منافسة إبستمولوجية مع الغرب..

وفجأةً...! دخل على الوعي العربي عنفٌ ما! أفسد علاقتنا بأنفسنا القديمة ونسف بالكامل آمالنا وآفاقنا المستقبلية ونزل بنا إلى قاع صفصف من العقل المعاصر، حيث تشظّت بذلك ذواتنا وانشطرت آمالنا وتفرّقت ثقافاتنا، هذه التفرقة التي ابتلعتنا فيما بعد...! وفي إطار هذه التحوّلات المربكة والسياقات المعقّدة يأتي مصطفى غلفان ليغوص في أعماق النهضة حيث تكمن قصة محظورة بسطورها الفارغة، ليفكّك هذه السياقات ويحلّل هذه السرديات التي كبحت جماح العبقرية العربية في موضوع اللسانيات وعلومها المتاخمة في الثقافة العربية.

الكلمات المفتاحة: الخطاب اللساني، الثقافة اللسانية، مصطفى غلفان، اللسانيات العامة.

الملخص باللغة الإنجليزية:

In fact....modern Arab culture has not met the expectations of linguistics and has not maintained a reconciliatory relationship with the new linguistic methodologies and their exploitation, unlike other Western nations, despite the emergence of serious and excellent scientific works during the Renaissance period, especially in Lebanon and Egypt.

Their works contributed to deepening the understanding of the language as a whole by transferring methodologies, theories and translating pioneering experiences, thus competing epistemologically with the West.

And suddenly... violence invaded the Arab consciousness, disrupting our ancient relationship with ourselves and completely destroying our hopes and future prospects. We plunged into the depths of the contemporary mind, where our identities fragmented, our hopes shattered, and our cultures dispersed, those cultures which then engulfed us... In the context of these complex transformations and confused contexts, Mustafa Ghallab dives into the heart of the Renaissance, where a forbidden history with empty lines lies.

He untangles these contexts and analyzes those narratives that have hindered the Arab genius in the field of linguistics and its related disciplines in Arab culture.

Keywords: *linguistic discourse, linguistic culture, Mustafa Ghalafann, general linguistics*